فصل في الكونغو

تأليف: إيميه سيزير
ترجمة وتقديم: فتحي العشري

الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٨٧

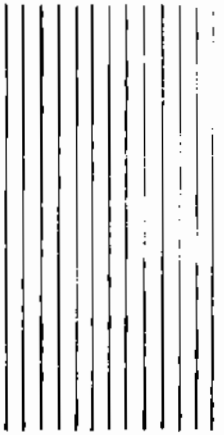

روائع
المسرح العالمي

راجية حسين

الاخراج الفني

ايميه سيزير
وفصل فى الكونغو

بقلم : فتحى العشرى

ان تقديم مسرحية « فصل فى الكونغو » لمؤلفها « ايميه سيزير » عمل صعب يواجهه الناقد والمخرج كلاهما .. لا لشيء الا لأن « سيزير » شاعر أكثر منه كاتبا مسرحيا . ولأن مسرحه لا يحتوى على مواقف درامية خالصة ولا على شكل مسرحى محدد . بقدر ما يحتوى على شحنة شاعرية غير عادية ومضمون سياسى مباشر وصريح !

وعلى هذا فان المخرج الذى ينشد النجاح فى اخراجه لهذه المسرحية لابد وان يستعين بديكور يتميز بالبساطة والثراء .. وموسيقى تجمع بين الأصل الافريقى والعصر الحديث .. وملابس شفافة ورقيقة تكشف عن البشرة السوداء وتساعد على الحركة والثورة .. واضاءة تستطيع أن تؤكد على الظلام بقدر ما تحيل خشبة المسرح الى نهار وضاء .. وعلى

المخرج أيضا أن يلجأ الى الموازنة الحية والواعية بين الايقاع السريع والايقاع البطيء فى تسدد الحركة المسرحية وتطور الشخصيات على السواء .

ويبقى الأداء عنصرا من أهم عناصر نجاح هذا العمل الصعب .. فاذا اختار المخرج معظم ممثليه من الزنوج الافريقيين فانه يحقق بهذا نصف النجاح أو أكثر .. واذا لم يتمكن من ذلك فعليه أن يختار أقدر الممثلين وأكثرهم مرونة ..

وأما الكلمة الأخيرة فهى للجمهور الذى يتفاعله مع هذه التجربة الفنية — فى تناولها للواقعين التاريخى والسياسى — انما تتكشف له ارادة شعب يرغب فى الاستقلال والحرية داخل احدى المستعمرات الافريقية . وارادة رجل غير عادى يصارع من أجل تحقيق هذه الرغبة على أرض الواقع وليس فى سماء الأحلام !

وهذا ما فعله المخرج الكوبى « روبرتو بلانكو » عندما قدم هذه المسرحية على خشبة المسرح الكوبى بالعاصمة هافانا فى يوليو ١٩٦٩ . مستعينا بالموسيقى الشاب « لبو براور » وبالممثل « ميجيل بينافيد » فى دور « لومومبا » و « صمويل كلاكستون » فى دور « لاعب السانزا » كما استعان بعدد من « الباقان » أو « الشكل الانسانى الذى تتحرك أعضاؤه بخيط رفيع ولكنه شىء آخر غير العرائس » ليحل محل مجموعة من الممثلين يصل عددها الى تسعين ممثلا .. وقد أقدم المخرج

على هـذا التصرف بناء على ضرورة عمليـة وفنيـة .. فكل الشخصيات ليست فى الواقع سوى صور وانفعالات داخلية .. بعض هذه الوجوه المرسومة تتخذ أشكالا هندسية تغرق اللونين الأحمر والأبيض . وبعضها يختفى وراء أقنعة بيضـاء غير محددة المعالم لأنها شخوص وليست شخصـيات .. ولأنها تلعب فى النهاية دورا تشكيليا يخدم فكرة « الحلم » أو العرض الغارق فى الحلم .

لقد أراد المخرج أن يصهر نص « سيزير » وامكانيـات العرض الآليـة والبشرية فى بوتقة واحـدة وجديدة ، لا تلتزم بأشكال مسبقة وقديمة .. وهذا ما أتاح للجميع حرية فى الحركة تعبـيرا عن مفهوم موحـد وواحـد هو « المزج بين الحـلم والحقيقة » .

وقد استند المخرج فى هـذا التفسير الى عبـارة مركزة وصريحـة جاءت فى النص تلخص الأحـداث التى وقعت فى الكونغو خلال عامى ١٩٥٩ . ١٩٦٠ .. تقول هذه العبـارة : « ان الأمر يتعلق بحلم ضرب حوله الحصار من الخارج » ..

فماذا حدث فى الكونغو ؟ وكيف تناول سيزير هـذه الأحداث فى عمله المسرحى « فصل فى الكونغو » ؟ !

نال الكونغو استقلاله من بلجيـكا فى يونيو (حزيران)

سنة ١٩٦٠ . ولكن تشومبى قام بحركة انفصالية بأن قاد حزب « الكوناكات » المتمركز فى الليابيث قبل للسيطرة على أقليم كاتانجا . اكثر أقاليم الكونغو خصوبة وثراء .. وأعلن كالونجى انفصاله عن ليوبولدفيل وانفراده بأقليم كاساى .. وحاول حزب الأبالكو السيطرة على أقليم باكوانجا .. أما قوات حزب « الحركة الكونغولية الوطنية » بزعامة لومومبا فقد كانت تتمركز فى ستانلى فيل ولكنها كانت تقود الكونغو كله الى ثورة تحريرية شاملة .. ورأس لومومبا أول حكومة وطنية بعد الاستقلال ولكنه واجه صراعات فى الداخل وتحديات من الخارج وخاصة بعد مؤتمر اكرا الذى انعقد سنة ١٩٥٩ واثار فيه لومومبا لأول مرة فكرة « الوحدة الافريقية »التى تضم الدول المجاورة للكونغو ولازالت تخضع للاستعمار مثل روديسيا وأنجولا وبرازافيل .. وهكذا تحركت قوى الاستعمار بمعاونة تشومبى، حاكم أقليم كاتانجا المنشق . وكازافوبو . رئيس الدولة الذى عزله مجلس الوزراء فى سبتمبر (أيلول) ١٩٦٠ وعين البرلمان لومومبا بدلا منه كأول رئيس لجمهورية الكونغو . ودبرت المؤامرات التى انتهت بالتأثير على « موبوتو »قائد الجيش وصديق « لومومبا » لتسليمه الى ألد أعدائه « تشومبى » الذى أشرف على مصرعه فى ١٣ فبراير (شباط) ١٩٦١ وبعدها نصب « جيزنجا » نفسه حاكما على الكونغو ولم يكتف « تشومبى » بقتل « لومومبا » بل دبر اغتيال « همرشولد »

على حدود روديسيا الشمالية وهو فى طريقه الى الاجتماع به فى سبتمبر من العام نفسه لادراكه أن « همرشولد » لم يقف فى صفه .. وتتوالى الأحداث بسرعة فيعزل « تشومبى » ويلقى مصرعه ويستولى « موبوتو » على السلطة ..

وجوزيف — ديزيريه موبوتو هو رئيس الدولة الحالى الذى استطاع ان يعطى بلده السلام والأمن .. أما الكونغو « كينشاسا » فهى الآن ثانى دولة تتكلم الفرنسية بعد فرنسا رقد قبلت منذ ستة أعوام عضوا فى « نادى الدول العشر الأكثر ثراء واستقرارا فى العالم والوحيدة من بين دول العالم الثالث » فهى تحوى « خمس » احتياطى الهيدرو فى العالم وأكبر دولة مصدرة للزرنيخ وسادس دولة منتجة للنحاس ..

أما « لومومبا » الذى تخلى عنه الجميع واساء اليه أقرب أصدقائه . فقد استطاع أن يظل بعد موته رمزا لحركة الكونغو واستقلاله . بل أصبح « لومومبا » فى وقت ما هو « الكونغو » بل هو « افريقيا » . كما كان « ديجول » هو « فرنسا » بل هو « أوروبا » وكما كان « عبد الناصر » هو « مصر » بل هو « الحركة العربية » ..

وأما المسرحية فقد التزمت بالتاريخ ولكنها لجأت الى التحليل النفسى والاطار التجريدى .. لاتقول رأيا ولا تستنتج

فكرا بقدر ما تصور بأمانة ووعى وحساسية « شريط الوقائع » .. وقائع الأحداث وواقع الشخصيات ، دون أن تطغى تلك « الواقعية » على « الأشعار » الرمزية والتعبيرية التى طعم بها « سيزير » نصه النثرى ..

يقول « سيزير » فى احدى قصائده :

افريقيا هى الأرض

التى يحلو فيها الموت

يقول هذا على الرغم من انه لم ير « افريقيا » على الاطلاق، فهو من أصل مارتينيكى حيث عاش اجداده بعد أن جلبوا من افريقيا .. وجزيرة المارتينيك هى أحدى جزر الأنتيل بالبحر الكاريبى وتقع بين الأمريكيتين حيث تضم ثمانى مليون ونصف مليون من الجزريين السود .. وأهم هذه الجزر كوبا وجامايكا وهيتى وبورتوريكو والمارتينيك (٣٠٠ ألف نسمة) .. وأهم منتجاتها السكر والبن والروم والزلازل الأرضية والبركانية التى كثيرا ما تقع فيها بلا انذار ولا رحمة .. والمارتينيك هى الجزيرة الوحيدة التى لم تحصل على استقلالها من فرنسا حتى الآن ..

يقول سيزير فى هذه القصيدة نفسها :

لقيى : مهمان ..

اسمى : محتقـر ..

حالتى : ثائـر ..

عمرى : عمر الحجـر ..

جنسيتى : الجنس البشرى ..

ديانتى : الاخـاء ..

ولكن لقبه هو سيزير .. واسمه هو ايميه .. ومولده جاء مع يونيو ١٩١٣ . فى بيت صغير يتخاطف كسرات خبزه الأسود ستة أطفال هو سابعهم .. أما الأب فقد كان موظف بسيطا واما الأم فقد كانت سيدة بيت متواضعة . .

وتزوج سيزير .. من امرأة سوداء بعد أن أكمل دراسته بليسيه لويس الأكبر . ثم عمل هو وزوجته بليسيه فور . وأصدر مع عدد من زملائه مجلة « تروبيك » أو « انفعالات » وفيهـا أعلن اقتناعه بالسيريالية مذهبا فكريا يسعى الى الحرية المطلقة . بحيث جاء اعتناقه لها افـادة منها وليست تبعية لها . ووسيلة لهدف وليس غاية أو أيديولوجيـة . ذلك أنه تنبه الى ظروف وطنه وأدرك على الفور دوره فى الدعوة الى تحرير هـذا الوطن السليب .. وانخرط فى العمل السـياسى حتى أصبح نائبا فى البرلمـان الفرنسى .. وهجـر الحـزب الشـيوعى الفـرنسى سنة ١٩٥٦ بعد أن وصل فيه الى أعلى المراكز ليتفرغ للكتابـة

شاعرا ومؤلفا مسرحيا ومفكرا من أجل حرية وطنه وحرية جنسه وحرية الانسان فى كل مصير ..

الفكرة الافريقية .. والحركة الزنجية !

لم يكن البؤس وحده هو الذى يشكل مأساة سيزير . ذلك أن شعبه المارتينيكى كان قد اعتاد حياة الذلة دون رغبة فى الثورة أو أمل فى الخلاص .. نتيجة للخوف .. الخوف من غد بلا مأوى ولا طعام . والخوف من مرض بلا رعاية ولا شفاء . والخوف من سجن بلا محاكمة ولا افراج .

ولم يكن المرسوم الصادر سنة ١٨٤٨ غير لعبة سياسية لم تغير من الوضع شيئا .. صحيح أن العبيد قد أطلق سراحهم ولكن الى اين ؟ الى حيث لا حياة ولا مصدر للحياة .. حيث لا أرض ولا عمل ولا سيد قديم يصعب الحصول على غفرانه .. وتحول الانسان المارتينيكى بحكم هذا المرسوم من عبد الى بروليتارى .. حتى بروليتاريته أصبح محكوم عليها بالتعامل مع فرنسا وحدها على الرغم من أن الأرض نفسها جزيرة أمريكية ..

وهكذا أصبح ضياع الشعب وفقدانه لكبريائه وكرامته هو أصل الألم الذى يعذب سيزير ويفجر فيه طاقة هذا العذاب نضالا سياسيا وفكرا انسانيا . بعد أن أمضى طفولة ليست

كالأخريات .. طفولة تعسة ولكنها جادة فى التفكير ، مخلصة فى التحصيل ، صادقة فى العطاء ..

وفى باريس التقى سيزير بسنجور .. ولخص لقاءه به فى هذه العبارة : « عندما تعرفت الى سنجور أحسست لأول مرة انى افريقى » .. من هنا بدأ احساسه بافريقيا وبدأت النزعة الافريقية تسيطر جنبا الى جنب مع الأصل الزنجى على أحاسيس سيزير وفكره ونضاله ..

توحدت الفكرة الزنجية والفكرة الافريقية بعد أن تأكد للجميع انهما لصيقتان .. فعار الماضى والخوف فى الحاضر واليأس من المستقبل كلها عوامل مشتركة بين الفكرتين ..

والتى سيزير وسنجور انضم داماس وديوب وأخذ الأربعة يعملون على تضييق هوة الخلاف والكراهية التى اتسعت فى فرنسا بين زنوج أمريكا وزنوج افريقيا .. فأصدروا جريدة محدودة باسم « الطالب الأسود » توحد بين جميع السود على اختلاف جنسياتهم .. فيكفى الأسود انه ليس أبيضا حتى ينضم الى هذه الحركة التى تعد بحق « صحوة الضمير الأسود » والتى دعت فى حينها الى الاشتراكية سلوكا واليسار مذهبا ..

يقول سيزير فى احدى قصائده :

جميل وخير وشرعى

ولعل ديوانه « كراسة العودة الى الوطن » هو الذى يلخص تجربته وثورته .. ان الديوان قصيدة غنائية وملحمية فى الوقت نفسه . تذكرنا بقصيدة رامبو الشهيرة « فصل فى الجحيم » ففى الاثنتين يتردد ذلك الايقاع الذى يفرق بين كبار الشعراء وصغارهم . فرامبو وسيزير كلاهما لم يلجأ الى الشعر الا لأن عنده شيئا يريد ان يقوله بالشعر .. فاذا كان رامبو قد أطلق صرخته الانسانية من خلال « فصل فى الجحيم » فان سيزير قد أطلق صرخته الزنجية من خلال « كراسة العودة الى الوطن » .. وكلاهما كتب أدبا ملتزما .. ملتزما بالانسانية وبقضايا العصر ..

أما ديوان سيزير فقد نشرت قصائده فى مجلة « الارادة » عام ١٩٣٩ ثم أعيد نشره مع مقدمة للشاعر والمفكر الفرنسى « أندريه بريتون » عام ١٩٤٧ .. هذا الديوان لم يلفت الانظار الى « الحركة الزنجية » فحسب بل كان أول صيحة فى طريق هذه الحركة التى دعمها شعراء من افريقيا وأمريكا اللاتينية . على رأسهم سنجور ودبوب وداماس . وهى الحركة التى نادت بالتحرر الوطنى والقومى . بدءا من تحرير الأرض حتى تحرير الروح . ايذانا بميلاد انسان أسود جديد . كما نادت بأزدراء واحتقار كل من يقتدى بالثقافة الأوروبية دون أن يهتم بثقافته

القومية .. ومع هذا لم تفرق « الحركة » بين الانسان والانسان أو بين الأسود والأبيض .. فالانسان لا يستطيع الا أن يكون فى النهاية انسانا .. وعندما يتغنى الزنجى بزنجيته انما يتغنى بها فى حوار ديالكتيكى بين الأسود والأبيض أو بين الانسان والانسان .

وبعد ديوانه « كراسة العودة الى الوطن » حيث يتغنى سيزير بزنجيته اتجه الى المسرح ليجسد هذا الغناء اللفظى فى ايقاع حركى يتميز بالحيوية . فكتب « الملك كريستوف » و « فصل فى الكونغو » و « العاصفة » وهى مسرحيات يحتدم الصراع فيها بين المستعمر والمستعمر ـ بين السيد والعبد ـ أو بين الأبيض والأسود .

وقد أراد سيزير بمسرحياته الثلاث أن يستحدث نوعا جديدا فى عالم المسرح هو « المسرح الزنجى » ، كما أراد « جان ـ مارى سورو » مخرج هذه المسرحيات جميعا أن ينشىء فريقا جديدا يحمل اسم « المسرح الافريقى » ..

ولعل كلمة « سارتر » التى يقول فيها « ان الزنجية هى أورفيوس الذى يبحث عن أوريديس » لعل هذه الكلمة قد راقت لسيزير وفتحت أمامه طريق البحث عن وسيلة لاصلاح حال أمته وخلق شخصية جديدة لزنوج المارتينيك بصفة خاصة .. لعلها تكون كلمة سارتر ولعلها تكون أسطورة

أوزوريس أيضا .. اوزوريس الذى قطع الى أربعة عشر قطعة جمعتها ايزيس ووحدتها من جديد ..

وعلى الرغم من انتماء سيزير الى حركة الأدب الزنجى الجديد (النيو نجرو) الا أن أدبه يتميز بسذاق خاص جعل سارتر يخصه فى مقدمته لكتاب سنجور « أورفيوس الأسود » الذى ظهر سنة ١٩٤٧ . بتقدير لم يحظ به الا سنجور وحده ..

فاذا كان سنجور وداماس وديوب وسيزير هم الذين قادوا معا الحركة الزنجية من ١٩٣٤ الى ١٩٤٠ فان صوت الأخير كان هو الصوت الأقوى والأبقى والأكثر تأثيرا وأثرا .. فقد تأثر به عدد من الشعراء الزنوج فى مقدمتهم بول ينجر وروبيه ديبتر وادوار جليسان وبولان جواشان ..

على أن هؤلاء جميعا بما فيهم الرواد الأربعة الأول لم يعرفوا « الزنجية » أفضل مما عرفها سارتر بطريقة هيجلية حين قال انها « الانسان ــ فى عالم ــ أسود » .

ذلك أن القيم الحضارية المطلقة كانت وستظل هى العقل بالنسبة للروح . والدين بالنسبة للانسان . والطبيعة بالنسبة للفن . والمادة بالنسبة للعمل . والحياة بالنسبة للانسان .. الانسان الأسود الذى التقى بالحضارة الغربية منذ القرن الخامس عشر . فأوحت اليه هذه الحضارة الغربية نفسها بفكرة

« الحركة الزنجيـــة » بعد أن انتزع من افريقيـــا ما يقرب من ١٥٠ مليون أسود خـــلال أربعة قرون ؛ بينما لم تلغ العبودية الا منذ مائة عام فقط .. بعدها استطاع أن يرفع الانسان الأسود رأسه ، ولسوف يرفعها عاليا ، محتفظا بالعبقرية الزنجية التى قوامها ضمير القيم التاريخية وشعور الانسان الأسود بالعظمة ..

ويعود سارتر فيقول فى مقدمته لأورفيوس الأســـود : ان الجنس لا دخل له بالرؤية الزنجيـــة . فالانسان الأســـود لا يتكون من « روح » أو « جوهر » يختلفان عن روح وجوهر سائر الناس .. فهو يعيش وسط البيض ، يعمل ويفكر مثلهم ، يتكلم لغتهم ويضيف الى تراثهم أدبا وفنا ..

ثم يشرح معرفا الزنجية على انها « طريق محدد فى الحياة وســـلوك خاص وسط عالم مختلف ومغاير .. وهى اختيـــار مفروض ومرفوض فى الوقت نفسه .. ذلك أن « الزنجية » اذا كانت ميراثا فهى ليست حضـــارة ، وعلى الزنوج أو السود أن يستبقوا هـــذا الميراث وعليهم أيضا أن يحولوا هـــذا التراث الى حضارة لها معناها وقيمتها وسط الحضارات الأخرى .. فالانسان الذى لا يملك أن يغير جلده فلا أقل من أن يمنحـــه البريق والحيـــاة ، سواء كان هـــذا الجـــلد أبيض أو أحمر أو أسود » ..

فكرة سيزير .. وافكارد :

لأنها أقوال جماعية وليست فردية . تتحدث بصوت الجميع من أجل الجميع . تتسم أقوال سيزير بالقوة . فتتحول كلمات مثل « الصلابة » و « الحقد » و « الرغبة فى الانتقام » الى أفعال . وأكثر من أفعال .. وهذا ما أحس به سارتر فى أعماق سيزير . أحس بصلابته فى المطالبة بالحق والسعى نحو تحقيق الحرية .

فاذا رفضنا « مونتانى » الغارق فى مكتبته المكدسة . و « ستندال » المستغرق فى وظيفته الدبلوماسية و « بروست » التابع فى عزلته المغلقة . واذا رفضنا « هوجو » المستسرىء لمنفاه بيروكسل و « مالرو » المستعذب عزلته بمدريد .. فان « موريس باريس » ومن بعده « ايميه سيزير » هما اللذان يتحولان الى اسطورة حية وخالدة .. الأول رسولا لفرنسا والأخير رسولا للمارتينيك .. قولا وفعلا . ولكن الفعل ليس هو حمل السلاح فحسب انه يتمثل أيضا وأكثر فى قيادة الرجال والوصول بهم الى شاطىء الأمان فى رحلة الحياة أو ساحة النصر فى معركة المصير .. أما القول فهو ذلك الذى يستمد قدرته من العقل والقلب معا .. كاتب ياسين مثلا وسيزير بالتحديد .. فاذا تكلم كاتب ياسين فلا يمكننا أن نستمع اليه بآذاننا . ولكن بما فى داخلنا . بكل ما فى داخلنا .. أما كلمات

سيزير فهي القادرة على الوصـــول الى القلب والعقل جميعا .. فهو الذى نفث فى عالمنا بأنفاســه الساخنة التى أدفأت القلوب وأطلق كلماته المنعشة التى نبهت العقول :

أيتها الحرية ، يا طوق النجاة الوحيد يا مياه النهر المتجددة، أنت وحدك الراوية .

« فمن الاســتعمار الى مواكبــة الحضــارة ، المسافــة لا تنتهى .. » .

هكذا يقول الشاعر الأسود ، الذى يتمتع بشخصــية ذات صوت مسموع . اســتطاع به أن يمهر العالم الأســود . وبه اســتطاع أن يحطم أســطورة العبودية التى تسخن الأســلاف وتزدرى الجنس الزنجى ..

من كثرة التفكير فى الكونغو
أصبحت أنــا كونغو
أنــا انســان الكهوف

الذى عرف العبودية وحملها على عاتقه وهو مدرك تماما أن قلب الانســان واحد لأن دمه واحد ونبضــه واحد فى عالمنــا هذا الواحد ..

وهكذا لم تتحول الزنجية الى حركة تصــدر عن كراهيــة أو تتعطش لمجرد الكبرياء ..

في ساعة المعجزات الحمراء

قابلت الحريـــة ..

تلك الحرية التي تجعل من العالم . دنيا بلا لون . الكل فيها متشابهون .. ولكنها حركة تصـــدر عن استفزاز واستنكار لتتخذ طريق الثورة .. ثورة ولو بالفكر وحده ..

أن يكتب الانسان ، في نظر سيزير ، هي الفرصـــة وهي الانطلاقة التي يشبهها بانطلاقة النسر .. ولكنه يعود فيؤكد أن « الانسان لا يمضي وحـــده . فهو مربوط بالعـــالم ، مرتبط به .. » .

نموت وأذرعنا مفتوحة للشمس

قابضـــة على شـــعاعها

الساقط على صدورنا كعجلة الطاحون .

ويرى سيزير أن الحضـــارات مهما تعددت ومهما اختلفت لابد وان تتلاقى . لأنه لابد وأن يقوم بينها تعايش ســـلمي .. ليس بمعنى أن يبيض الأسود ويسود الأبيض . بل بقصـــد أن يكمل كل منهما الآخر ليصلا معا الى الكمال ..

فالاستعمار يسعى الى سلب المستعمر حضـــارته وكرامته ولكنـــه دون أن يدري يوقظ فيه غرائـــز القوة والكراهيـــة والانتقـــام !

ففى كل مرة تقطع رأس وتفقأ عين فى فيتنام . وفى كل مرة تغتصب فتاة ويعدم طفل برىء فى فلسطين ، تتقهقر الحضارة الانسانية وتعود الى عصور الظلام والبربرية ..

ومع هذا فان الأمل قائم ، هو بالضرورة قائم ، لأن الانسان لايزال انسانا . وسيظل كذلك !

ان مأساة افريقيا التاريخية هى انها تأخرت فى الاتصال بباقى أنحاء العالم .. ولكن سيزير يؤكد ان تسلق شجرة الحضارة لايكون بالضرورة بالعقل ولكنه أساسا بالقلب ..

أسلوب سيزير ولغته :

ربما كان أسلوب سيزير المعقد هو التعبير الصادق عن وضعه المعقد اجتماعيا وسياسيا ونفسيا . زنجى افريقى ومثقف يحس بالهوة السحيقة بين حضارته المهجورة المخربة التى ينفض عنها أبناؤها وبين حضارة المستعمر التى يلجأ اليها هؤلاء الذين يقعون تحت وطأة الاستعمار دون محاولة للدفاع عن حضارتهم وحاضرهم ولو على سبيل تقريب المستقبل واستدعائه من جوف التاريخ ..

ويتمثل أسلوب سيزير المعقد فى اختيار الألفاظ المهجورة كحضارته المركبة مثل وضعه .. وفى تكوين العبارات المشحونة كنفسيات مواطنيه ، المتوترة كسلوكهم .. وفى تعهد المعانى الغامضة كرؤاه الشاحبة مثل آمال وطنه فى الحياة والحرية وفى

اللحاق بركب الحضارة والتقدم ..

ومع هذا استطاع سيزير أن يعيد للشعر الفرنسي صفاءه . ويصبح واحدا من أكبر شعراء الفرنسية الذين ظهروا بعد الحرب الثانية . بل واحدا من أكبر كتاب القارة السوداء . برغم قوله « لست من نفس الشجرة أنا من حرارة أخرى وبرودة أخرى » ..

قال عنه بريتون « انه موهوب » ..

وقال ايلوار « هو رائع » ..

وقال سارتر « عبقري » ..

وقال آلاف القراء « هو واحد من أنقى شعراء العصر » ..

والحقيقة أنه لا يقل شأنا عن بودلير ورامبو وفيون ومالارميه وايلوار أيضا . هو مثلهم جميعا . انسان ملتصق عن صراع مرير خاضه أسلافه عبر التاريخ ..

زنجي .. زنجي .. زنجي ..
منذ وجدت السماء السحيقة قبل التاريخ !

وهكذا يتسلق سيزير باخلاص واقتدار جدران التجربة الانسانية غير مبال بما تسببه له من جراحات وعذابات ليتربع على عرش القارة السوداء شاعرا وكاتبا ومفكرا ..

وجاءت دواوينه الثلاثة التى تلت « كراسة العودة الى الوطن » وهى « الأسلحة المقدسة » و « شمس مكسورة » و « الكلاب كانت تعشت » تعبيرا عن هذا المفهوم وتأكيدا له ..

كانوا يعلموننا بالنار الحمراء
وكانوا يبيعوننا كالحيوانات
وكانوا يعدون أسناننا ..

***

سفاحون ، سفاحون ، سفاحون ..

وفى مقابل الشعور بالحيوانية ذكر سيزير فى أغلب أشعاره « الثعبان » على مختلف أنواعه : « الكوبرا ، الأناكوندا ، كرلوفر ، القيبير ، البازيليك ، بيثونس ، ليزار ، جيكو ، كروكوديل ، لوريل » ..

فالثعبان رمز جنسى بالدرجة الأولى وهو فى نفس الوقت أكثر الحيوانات خطورة فى المارتينيك ..

والى جانب الثعبان بأنواعه رمزا جنسيا يستهدف الرجل بما ينفثه ، لجأ سيزير الى الشجرة بأنواعها رمزا جنسيا يستهدف المرأة بما تخصبه .. كذلك لجأ الى الفاكهة رمزا للرغبة أو الوفرة أو الجمال .. أما أنواع الشجر فهى : السنبلة ، اللوز ، الشهد ، الذرة ..

وأما أنواع الفاكهة : فهى الجوافة والمـانجو والقرفة ..

ولكى يرمز سيزير الى « هذه الجزيرة التى ترفض الميلاد » يلجـأ الى رموز كثيرة أخرى مثل النجوم ، النوافذ ، المياه ، العصافير ، الزهور ..

ولعل كل هذه الرموز أو الايحاءات أو الاستقطاعات كان مصـدرها السيريالية التى عرف سيزير كيف يدفع خـلالها « بأعماقه » .

وننتقل الى موسيقى الشـعر عند سيزير والى مكانهـا فى الموسيقى الافريقية !

من المعروف أن ايقاعات الموسيقى الزنجية ـ الافريقيـة فى أغلبها ايقاعات بطيئة وحزينة ، ذلك ان هدفها فى المقام الاول ليس « اطراب » الأذن بالنغم الساحر بقدر التركيز على الكلمات وابراز المعانى .. ومن هنا يجىء التعبير قبل التنغيم أو هو يحتل مكانة أرفع ..

فاذا انتقلنا الى اللغة ، لغة سيزير ، وجدنا أنه قد اكتشف لغة خاصة به ، بعيدا عن التراث الزنجى ـ الافريقى ، بعكس التصاقه بموسيقى هـذا التراث .. حتى أنه يمكننا أن نطلق عليها « اللغة السيزيرية » ونطلق على شعره بالتالى « الشـعر السيزيرى » كما نقول « الشعر البودليرى » .

فاذا كان سيزير يبدو من أشعاره عنيفا وحادا بعكس سنجور الذى يبدو منسابا وهادئا ، فلأن الأول لايزال يعانى الغربة ولايزال وطنه يعانى القهر بعكس الأخير الذى نال حريته وحرية بلاده منذ ثلاثين عاما (عام ١٩٥٧) ..

ولكن سيزير لم يبدر ظهره للفولكلور « الأتيلى » أو لتاريخه .. وقد ظهر هذا واضحا فى مسرحيته الثانية « الملك كريستوف » التى كتبها عن ملك هايتى معاصر توسان لوفرتور ..

وتحضرنا هنا لوحة بيكاسو الشهيرة « جرنيكا » التى فصل فيها وجوه الشخصيات لأنه أراد أن يصور الهول والفزع. ذلك أن سيزير لم ينس هذا مطلقا سواء على مستوى الرمز كلما تعرض لوصف شخص أو موقف فى أشعاره كما فى مسرحياته ..

ويثور هذا السؤال : هل يعد سيزير شاعرا افريقيا . أم هو شاعر فرنسى ؟ !

ان الكتاب والشعراء الزنوج الذين تخلوا عن جزء من ثقافتهم واعتنقوا الثقافة الفرنسية أو الانجليزية على حد تعبير ريتشارد رايت هم «out law» أو « خارجون على القانون » .. وهكذا يبقى الأدب الزنجى المكتوب بالفرنسية بعيدا عن

الحركة الثقافية فى الأدب الفرنسى وبعيدا فى الوقت نفسه عن « حركة زنجية » وليدة أو لم تولد بعد .. الا أن بعض الأعمال تعد « زنجيـة » خالصـة مثل « قصص جوان سلونجـا » و « روايات أمومسى تريتولا » و « أشعار ساونديانا » ..

يقول رونيه ماران أن كتابا افريقيين هم الذين سينشئون الحركة الزنجية فى وقت قريب ..

أما أن نسأل عن شعر سنجور . هل هو افريقيا أم فرنسيا. فمعنى ذلك أننا نكرر السؤال : هـل شـعر سيزير افريقى أم فرنسى ؟ !

ومع هذا فان أشعار سيزير تعد فرنسية أكثر من أشـعار سنجور . كما أنها تعد فى الوقت نفسه افريقية أكثر من أشعار سنجور كذلك .. فضـلا عن كونها أشعارا أنتيلية .. انه الشاعر ذو الأبعاد الثلاثة . وهو الانسان الذى يجمع بين كل المتناقضات. وان كان قد وفق الى حل معقول لهذه المتناقضات . وهو ما نسميه بالمعادلة الصعبة . وهى أصعب المعادلات الفكرية والانسانية ..

وعلى هذا فان سيزير يعد بحق أمير الشـعراء الزنوج وواحد من أهم مؤسسى الأدب الزنجى الجديد ..

وعندما يهجر سيزير الشـعر الى النثر انما يلجأ الى التيار الانقى فى البلاغة الفرنسـية وهو يوضـع أيضـا بين الناثرين

الفرنسيين عن جـدارة ، شأنه فى ذلك شان سنجور وداماس ورومان وبيراجو وديوب ونيرولیان ونيجر ..

ان هؤلاء جميعـا قد استطاعوا ، كل بطريقتـه أن يوقظ شعبه ، وان يخرج الى الوجود الفكرى ما يمكن تسميته بأدب المعركة أو الأدب الثورى أو الأدب القومى وهو هنا « الأدب الافريقى ـ الزنجى » ..

والآن .. من هو جمهور سيزير ؟ !

على الرغم من تجـاهل النقد لسيزير وأعمـال سيزير ، فان انتاجه الشعرى والمسرحى والسياسى سرعان ما ينتشر فور صدوره ويحقق نسبة مرتفعة فى التوزيع داخل فرنسا ـ حيث ينشر سيزير أعماله ـ وخارجها فى الدول التى تتكلم الفرنسية ، وفى الدول الأخرى عن طريق الترجمة .. انه اذن جمهور القراء الذين يتحدث عنهم سيزير والذين يريدون معرفة حقيقيـة .. أما هؤلاء فكثيرون ، كثيرون بعدد الأحرار والمؤمنين بالحرية ، وأيضا بالعدالة وبالمساواة دون تفرقة : عنصرية أو دينية أو حتى أيديولوجية .. انهم هؤلاء الذين يتجاهلون التقسيم الجغرافى للعالم ولا يرونه الا بساطا ممتدا يحتضن نوعا واحدا من الجنس العاقل أو الجنس البشرى .. انهم هؤلاء الذين لا ينتمون الى المـاضى بقدر ما ينتمون الى المستقبل ..

فاذا رفض النهار أن يطلع .. واذا رفض الليل أن ينجلى ..

انتفت انسانية الانسان وأصبح كل ما يكتبه سيزير وكل ما يقوله . لا قيمة له على الاطلاق .

اما اذا تمسك الانسان بانسانيته . واذا استطاع أن يحافظ على العدل ويستمع الى صوت الحكمة ، واذا لم يجد حرجا فى لونه الأسود ولم يجد ما يدعو الى التعالى نتيجة للونه الأبيض . واذا ظل الحوار القائم على الاحترام مستمرا بين الأسود والأبيض .. اذا حدث هذا كله فان كل ما يكتبه سيزير وكل ما يقوله لايمكن أن يفقد شيئا من قيمته وفعاليته ..

وما ينطبق على سيزير هنا وبهذه المقاييس ينطبق كذلك على كل كاتب صادق يتمتع بما يتمتع به سيزير من أصالة ..

ان أهم ما فى الانسان هو قدرته على الحوار .. وأعظم حوار هو ذلك الذى يدور بين « الأسود » و « الأبيض » حوارا داخليا وليس مسموعا أو سطحيا . هذا الحوار اذا تم على أكمل وجه فانه يفتح طريقا جديدا ونبيلا نحو أمل واحد ومشترك بين جميع البشر بغض النظر عن اختلاف لون بشرتهم جميعا .

***

مسرحيـــة

فصل فى الكونغو

افريقيا فى نشوة الاستقلال المكتسب . ومرة واحدة تتجمع كل المشاكل : ثورات . خيانات . صدمات حضارية ، دسائس سياسية . مناورات القيادات الكبرى .. كل هذا يجرى بلا رابط فى طريقة اعادة بناء الدولة المغلق .

وتظهر من وقت الى آخر شخصية كبيرة وعظيمة هى شخصيه باتريس لومومبا ، انه رجل سياسى كان يعد الرجل الوحيد فى الكونغو والرجل العظيم فى افريقيا بأسرها ذلك انه يتمتع ببصيرة نافذة وشاعرية مطلقة .

رجل خيال . دائما ما يرى أبعد من الموقف الحالى ، ومن هنا كان رجل عقيدة وهو أيضا رجل افريقيا . لقد كان رجلا يؤمن بالقوة والحكمة معا .

فى صراعه مع مشاكل العالم الحديث . عالم المنطق والمصالح، أكمل قدره ومصيره بجلاء ووضوح رؤيا . قدره ومصيره كضحية وبطل . مهزوم ولكنه منتصر أيضا . يصطدم بأسوار سجنه ولكنه يقاوم فى الوقت نفسه .

من خلال هذا الرجل بل من خلال قوامه الأسطورى يدور تاريخ قارة بأكملها كما يدور تاريخ الانسانية جمعاء بطريقة مثالية ورمزية .

الا يكفى كل هذا لكى نحاول أن نبرز هذا الدور الرائع ؟!

ايميه سيزير

الفصـــل الأول

المشـــهد الأول

« حى افريقى بالعاصمة ليوبولدفيل .. حشد من المواطنين يلتف حول احد الحواة ، يراقبهم اثنان من المخبرين البلجيـكيين ، بعيون ثاقبـة » .

الحـــــاوى : اخترع البيض . يا أبنائى . كثيرا من الأشياء جاءوا بكم الى هنا وفعلوا الخير وفعلوا الشر . أما عن الشر فلن أقول اليوم . لكن لاشك أن البيرة خير ! اشربوا .. أليست هى الحرية الوحيدة التى يبيحونها لنا قبل أى شىء ؟ هل يمكننا أن نجتمع دون أن ينتهى هذا الاجتماع الى السجن ؟ نجتمع نسجن .. نكتب نسجن .. نغادر البلاد ؟ نسجن .. وهلم جرى ؟ لكن لكن لاحظوا بأنفسكم .. منذ ربع ساعة

وأنا أخطب فيكم ومع هذا يتركنى رجال الشرطة أفعل .. أما السبب . فلأنى أبيع البيرة . ولأنى أصب البيرة .. من المؤكد ان كأس البيرة هى رمز حقنا الكونفولى وحرياتنا الكونفوليه .

لكن حاذروا . نعم . فكما يوجد فى البلد الواحد أجناس متعددة . كما هو الحال فى بلجيكا نفسها . حيث يعيش الفلاموند والفالون وحيث يعلم أى فرد انه لا يوجد أسوأ من الفلاموندين . يوجد أيضا بيرة وبيرة أخرى .. أجناس من البيرة .. عائلات من البيرة .. وقد جئت الى هنا لاتحدث عن أفضل أنواع البيرة . أفضل أنواع البيرة فى العالم .. البولار .. هى التى تعيش فى الظروف الجوية القاصية .. البولار بيرة الحرية الكونفولية .. البولار بيرة الصداقة والأخوة الكونفولية .

متفرج : هيه .. ولكنى سمعت ان البولار توهن المرء .. وان البولار تضعف من قواه الجنسية .. أجب على هذا يا سيدى .

الحاوى : لاحظ . أيها المواطن . أنى لا أرد على هجومك

بهجوم مماثل .. كما أنى لا اطلب منك أن تأتى لى بزوجتك أو أختك (ضحكات تدوى فى الاجتماع) .

متفـــــرج : هوه .. هوه .. هوه هذا الرجل عنيف ..

الحـــــاوى : لكنى التفت ناحية الفتيات هناك . تلك النباتات اليافعة وألقى عليهن بسوء .. الى .. هيا أيتها الفتيات .. يا دعاباتى صاحبات البسمة الندية يا فتياتى ذوات بطن الحية اللدن .. ألن تجبن ؟

(الفتيات تغنى)

نساء كالمرايا ملساء
أجساد بلا رياء
غارقة فى العسل
شعر متموج
نهدان بارزان
فوق الصدر البرىء بلا حياء

(تصفيق الجمهور)

المخبر البلجيكى الأول : لا بأس بتهريجه .. لكنه ثرثار .

المخبر (٢) : هيه .. لكنه مصدر قلق .. فكأس البيرة

التى يصبها عبارة عن صندوق ملىء بالدهاء .. ماذا يخرج منه .. سأحتمل منه على كلتين فى هذا الشأن .

المخبـــر (١) : عامله بعنف .. لابد من بيع البولار .. هل تعرف من يملك البولار ؟

المخبـــر (٢) : كيف تريد لى أن أعرف ؟ أعرف فقط أن هذا الزنجى خطير .

المخبـــر (١) : أنت صغير . أقولها لك .. فوراء البولار يختفى الوزير .. أى نعم .. وزير الكونغو .. هل هذا يكدرك .. لكن الأمر كذلك .. فهمت اذن .. هيا بنا نأخذ كأسا .

المخبـــر (٢) : أرغب فى ذلك تماما .. اعطنى بالمناسبة اسم الحـــاج .. فشىء ما يقول لى أننا سنحتـــاج اليـــه .

المخبـــر (١) : أوه .. انه ســـاحر .. اطمئن .. ســـاحر اسمه .. باتريس لومومبا .

***

المشـــهد الثـــانى

(صـــوت يرتفع خلف المسرح ، ثم يعلو تدريجيا . فى نفس الوقت الذى يروح فيه ويجىء جرسونات المقهى وزبائنه .. يقام بار افريقى) .

الصـــــــوت : اسمعوا .. اسمعوا .. اسمعوا .. جـــرح الجاموس .. لم يعد يقوى لأنه أصيب بطلقات نارية .. ولهذا هاج الجـــاموس .. من هو الجاموس ؟ الجاموس هو حكومة البلجيكيين والفلامنديين . وحيث أن الجاموس جريح فهو كثير التهديد . أما أنتم فهل تتراجعون بسبب هذا التهديد ؟ الجاموس حيوان شرس . هل تهابون شراسته ؟ وخطواته الثقيلة ؟

اليكم أغنية اسلافنـــا :

الجاموس خطوات ثقيلة

خطوات ثقيلة . خطوات ثقيلة

لن رايتموه . لاتخافوا من تلك الخطوات الثقيلة

تلك الخطوات الثقيلة . تلك الخطوات الثقيلة
(أقيم البار ، أضـواء باهرة ، موائـد صغيرة ، دخول وخروج بعض الزبائن ونساء الليـل)

المـرأة (١) : (وهى تغنى)

تعالوا لمـاذا تخافون ؟
أنـا لست متزوجـة
تزوجت منذ زمن بعيد
كنت أظن انه لا يوجد رجال آخرون
آه .. فقط لو كنت أعلم

(تقترب من مائدة)

حقا .. لا توجد شهامة فى الكونغو .. رجال يشربون البيرة وحدهم ويتركون آنسة واقفة ، جف حلقهـا .

رجـل (١) : (يصفر) ويا لها من آنسة لاشىء يقـال .. بالنسـبة لامرأة ، فهى امرأة تثـير كـل شـمعات .. لنفسـح لها مكانا . اجلسى . يا سيدتى الصغيرة اجلسى .

المـرأة (٢) : (وهـى تقتـرب) أوه .. أوه .. أيتهـا

الصـــديقات .. ساعدونى .. ساعدونى ..
وقعت فى حادثة صغيره .. انزلقت سترتى ،
مساند سيماس الصغيرة هذه ليـــت مريحة .
هؤلاء الفلانجيون المقدســـون يخدعوننا بكل
الوسائل .

رجـــل (٢) : يخدعوننا ويستغلوننا ، نعم يا أمى الصغيرة .
يستغلوننا . الزنجى . كما تعلمون ، ليس حذرا
بما فيه الكفاية .

المـــرأة (١) : (وهى تتجرد من ملابسها)
أما أنـــا .. فوجدت حلا للمشكلة .. خلعت
الثوب . لم أعد أرتدى الا الجيبولا .

رجـــل (٣) : (وهو يضحك) بهدوء .. بهدوء .. قـــولى
بالاحرى أنك تتجردين حتى من الجيبولا ؟ ..
بفضل هذه الموضة نرى افخاذ النساء أثنـــاء
ســـيرهن .. بل أكثر من ذلك .. هيـــه ..
هيه .. أقول أكثر بكثير .

المـــرأة (٢) : يالك من جاحد .. لمـــاذا تشـــكو والمتعـــة
مجانا .. آه .. الرجـــال أصبحوا بخلاء ..
شـــديدى البخل .. غاية فى السوء .

(تغنى)

اسمعوا يا أصـــدقائى

أعطانا الله أمهـات
أمهات تقتلنا من أجل المـال
للحصول على قسط أكبر من المـال

(يدخل رجل يرتدى زيا أوربيا ، يسير كرجال البحرية انه موكوتو)

موكوتـــو : ســلام على الفتيات •• عندى لكم أخبـارا جديـدة •• ألقى الفلامنديـون القبض على باتريس ، ولا أمل فى أن يلينوا •• رحـلوه الى ايفيـل ، مقيد اليدين ، بينمـا يجتمـع السياسيون فى بروكسل حول مائدة مستديرة لتقرير مصـير الكونغو • لو كان فى جمعيـة السياسيين الافريقيين لمـا اجتمعوا طالمـا لم يفرج عن باتريس •

رجـــــل : نعم •• وجهـة نظر •• ان كنـا لا نعمـل من أجل مصير رجل •• لكنا نعمل من أجل مصير أمة •

موكوتـــو : أوه •• أوه •• هـل كان سـيوجد هنـا فلامنديون ؟ فلامنديون سود •• يوجد بالفعل فلامنديون حمر ، لمـاذا لا يوجد سود ؟ هـه ؟ صديقى ألم تتساءل أبدا ما الذى يمكن أن يحدث اذا ارتبط مصير رجل بمصـير أمة ؟

هيـه ؟

رجـل (٣) : حسن .. حسن .. لكن ما العمل ؟ لا يمكننا رغم كل شيء ان نقتحم وبأيدينا العزلاء سجن الليابيث فيل .

موكوتـو : وهـل أعرف أنـا ؟ يا الهى .. افعلوا أى شيء . ولكن افعلوا .. كل الطرق مسهدة . كل الطرق .. تؤدى الى الثورة . فاتخـذوا اذن أى الطرق .. لكن اتخذوا طريقا ..

(يرتفـع الصـوت مرة أخرى خـلف المسرح .. ويغنى نشيد المسانجيست)

انا الأبنـاء اليتامى
ليل حالك ، شاق هو الطريق
الهنا القادر . أين نجد العون ؟
أبانا الكونغو ، من ذا الذى يعيننا !

المـرأة (١) : اقترح أن نرتدى ملابس الحداد لمدة سـتة شهور ، فنحن نلبس الحداد عندما نفقد أحدا منا ، وباتريس كان الى حد ما واحدا منا .

موكوتـو : يا له من كذب .. تعتقدين ان هذا الأمر يهم الفلامنديون .

المـرأة (٢) : أنـا ، اقترح أن نقوم باضراب ، ونطـوف رافعين أعلامنا ، كل جمعياتنا ، لولينا ، دولار ،

المرأة الحرة ، والأمل رافعة أعلامهـا الصفراء والخضراء والحمراء ، سـوف يكون لهـذا تأثيرا .

ماما ماكوزى : (أو المرأة القوية) كفاكم بلاهة .. لا حزن ولا اضراب . العمل ، هو العمل سنعمل أكثر مما عملنا من قبل . سندفع كفالة للبلجيكيين . الجاموس يجب المـال ، هـذا شيء معروف ، انه غذاءه . وسيجتمع باتريس مع الآخرين فى بروكسل . انتهيت من كلامى .

موكوتـــو : أبنائى ، يجب أن أرحل . افعلوا ما تمليـه عليكم قلوبكم . خير كل ما ستفعلوه لباتريس . شـــكرا .

(رجل يقوم . يغنى . الحشد يردد غناءه)

سيحل فصـل الأمطـار
ستأتى الحرب الينـا
زمن الدمـاء الحمراء
هو الزمن الذى اتحدث عنه
قوى هو الجاموس ، قوى هو الفيل
لكن أين الفرار ؟

لا الباب ولا الطريق

تنبـأ بعلمـه

قريبا يستقظ الجـاموس . وقريب يستقظ الفيل

سيشعرون بيد الله الرهيبـة

الزمن الذى اتحدث عنه هو زمن الدماء الحمراء

للغد هى الحريـة .

***

المشـــهد الثـــالث

« سجن الزبيبة فيل »

السجان (١) : (يتحدث فى التليفون) آلو ! انى منصت .. نعم سيادة المدير .. تماما يا سيادة المدير .. حسب أوامرك يا سيادة المدير .

السجان (٢) : ما الموضوع أيها الرئيس ؟ خطير ؟

السجان (١) : المدير أخبرنا بحضـوره الآن ، بخصـوص السيد باتريس لومومبا .

السجان (٢) : أوه .. هذا الرجل .. لا يجلب لنا سـوى المشـاكل .. رأيت العديـد من المسجونين ، لكن بشرف السجان ، لم أرى اناسا متعبون أكثر من هؤلاء الزنوج ذوى النظارات .

السجان (١) : والادعـاءات .. انظـر أنه حتى الآن يكتب الشعر .. شاعر خسيس .. لكن احضره هنا حتى نذكره بالنظام ونهيأه للحديث مع سيادة المدير .

(بينما يذهب السجان الثانى لاحضـار السجين .. السجان الأول يقرأ)

السجان (١) : أوه .. أوه ..

الكونغو ، ثم جاء الرجل الأبيض
مغتصبين نساءك
لكن المستقبل السعيد يحمل الخلاص
شواطىء النهر الكبير هى ملكك الآن
ملكك هذه الأرض وكل خيراتها
ملكك تلك الشمس فى علاها

من أين سيملكها الشمس ؟ انهم لا يكتفون بالحصول على بيوتنا ونسائنا ، بل يريدون أيضا الحصول على الشمس .. آه .. ها أنت أيها الفذر الحقير ، الجاحد ، آه السيد يقرض الشعر .. لكن من الذى علمك القراءة .. أيها الخسيس ، سوى هؤلاء البلجيكيين الذين تكرههم الى هذا الحد .. قف .. امسك ، سأكتب الشعر على ضلوعك .

السجان (٢) : أيها الزميل .. ليس هذا كل شيء .. أنظر الى ما فوجئت به داخل زنزانته .. مخطوطة .. مقال يحتج فيه بالطبع على حبسه غير الشرعى كلهم يقولون هذا كما تعلم .. ويطالب

بالأفراج عنه ليتمكن من الاشتراك فى أعمال مؤتمر المائدة المستديرة فى بروكسل . امضاء باتريس لومومبا ، رئيس الحركة الوطنية الكونجولية .

السجان (١) : لا بأس .. هيه ؟ (يضربه) أتتصور نفسك فى بروكسل أيها الوحش ؟ وما الذى ستقوله للملك اذا رايته ؟ ما الذى ستقوله للسيد كيتوكو ؟

السجان (٢) : (وهو يضربه) يريد بالطبع أن يصبح وزيرا.. (يضحك) أتتصور نفسك سيدا .. أيها الخسيس .. سيدا .

السجان (١) : من الجائز لكن يجب عليه أولا أن يأكل الملك كالا .. لا تضربه كثيرا يا بنى .. فلندع الأمر للرئيس الذى قد يحضر حالا .. ها هو قد وصل .

المدير : أحمل اليك نبأ سارا .. يا سيد لومومبا .. نبأ عظيما .. نعم فأحيانا ما يحدث أن يحمل مديرو السجون أنباء سارة .. أنباء عظيمة الى مساجينهم فقد وصلنى منذ برهة أمر من

بروكسل بخصوصك . قرر السيد حاكم الكونجو انطلاق سراحك .. وأمل بصفتك رئيسا لحركة الوطنية الكونجولية كما تطلقون عليها . يأمل ان تشترك فى أعمال مؤتمر المائدة المستديرة .. وقد كلفت باتخاذ الاجراءات اللازمة لتيسير سفرك .. واخبرك بان طائرة شركة سابينا المتجهة الى بروكسل ستقلع غدا . أنت الآن حر يا سيد لومومبا رحلة موفقة يا اكسلنس ..

الساحران : آوه .. آوه (ينحنيان) رحلة موفقة يا اكسلنس

(يسير لاعب سانزا وهو يغني)

اخوانى .. يا اخوانى .. تيقظوا .. الكونجو يتحرك .

***

(منشور يسقط من الكواليس مكتوب عليه « بروكسل قاعة المائدة المستديرة » عرفه ملاصقة لقاعه القصر .. الذى يعقد فيه مؤتمر المائدة المستديرة للاحزاب الافريقية .. أربعة أو خمسة رجال متنكرين فى شكل ساخر ، على هيئة صرافى البنوك يدخلون ويخرجون .. زى أنيق .. سيجار كبير .. السخط والرعب على اشدهما .. تسربت انباء تفيد بان الحكومه البلجيكية وافقت بناء على طلب لومومبا على تحديد يوم ٣٠ يونيو ١٩٦٠ موعدا لاستقلال الكونغو) .

الصراف (١) : لقد انتهى كل شىء حسم الخونة على بيع امبراطوريتنا .

الصراف (٢) : حددوا للاستقلال موعدا .

الصراف (٣) : للأسف .. قبلوا دكتاتورية هذا الخسيس .

الصراف (٤) : الشجاعة يا سادة .. الشجاعة .

على المرء ان يتزوج عصره .. لا أقول يحبه .. يكفى أن يتزوج منه .. هذا الاستقلال يضللنى .

الصراف (١) : الشيء الذى يؤدى الى الكارثة الكبرى
ويقضى على الدولة . ويبدد أموالنا
ويحط من قدر هـذا البلد حتى
يصل الى أحط الدرجات
هو أن تتخذ موقفا بعد فترة طويلة

الصراف (٢) : تناقض محير أم حكمة خطيرة
الاثنان ولاشك .. زميلى انى أقولها
لا أعرف ما الذى يجيش فى اعماقك
ولكن عندما ينتشر الشر فى مملكة شاسعة
يصبح من الخير الا تنادى بالحرية .

الصراف (٤) عندما ينتشر الشر فى مملكة شاسعة . يصبح
الحلول الجريئة هى وحدها العاقلة .

الصراف (١) : ليس هناك شيء أكثر اثارة من هذا الحديث .
ولكى تتخطى الصعاب . قولوا ما تشاءون .
اقترحوا . اذا كان لديكم خطة .. بدلا من
الاحتيال .

الصراف (٣) : ما علينا .. هل لديكم ما يسمى بالسياسة ؟

الصراف (٤) : سياسة ؟ الكلمة ضخمة . لكن لنحكم العقل
من هنا وهناك تقفز الى مخيلتى بعض الأفكار

وهـذا لا يستحق شـيئا عشرون عامـا من العـذاب . فكروا . فلكى تروض الوحش ، لا توجد الا وسيلتان .. الهراوة يا عزيزى ، والخازوق .

الصراف (١) : وبعـد ؟

الصراف (٤) : لاشىء .. كنت أعتقـد انكم أكثر وعيـا . اتبعوا الفكرة .. ماذا يريدون ؟ . مراكز . ألقاب . رئاسات . نواب . شيوخ . وزراء .. أخيرا الخـازوق .. حسـنا .. سـيارات .. حسابات جارية . قصور . مرتبات كبيرة . لن أبخل أبدا .. بديهيا وهذا هو المهم : أن نشبعهم .. النتيجة..أن نلين قلوبهم ، ويصفو مزاجهم ، أرأيتم الى أين يقودنا المنطق حتى نحكم تدبير المؤامرة .

الصراف (١) : كفى .. أحسنت أيهـا الزميل .. الموافقـة بدون تحفظ ؟

كورس الصرافين : هيه .. هيه .. يحيا الاستقلال .

***

المشهد الخامس

(ليوبولدفيل ، احتفالات شعبية ، تسمع اناشيد الاستقلال)

امـــــرأة : كيف يصل الاستقلال فى سيارة .. فى باخرة . فى طائرة ؟

رجـــــل : يصل بصحبة الملك الأبيض الصغير .. السيد كيتوكو . هو الذى سيحضره لنا .

مواطن من المنظمة الوطنية الكونغولية :
الاستقلال .. لن يحضره لنا أحد .. نحن الذين نحصل عليه . أيها المواطنون .

موكونجو : لا يهم .. منحناه أو انتزعناه .. ما أعرفه .. هو انك الآن تملك الاستقلال وعلى كل البلجاليين أن يعودوا الى قراهم .. لقد أفسد هؤلاء البلجانيون البلد .

مونجالى : نحن وحدنا الذين نملك السلاح لواحد من الموكونجو . أن يكون رئيس الجمهورية .. وأن يحكمنا .. هذا المكان يعود لرجل من

النهر : يحيا جان بوليكانجو .. الى السطة
يا جان بوليكانجو .

مواطن المنصة : هيا .. هدوءا من روعكم أيها السادة .. كفانا منازعات عنصرية .. لا تسمحوا للاستعمار بأن يفرق ليسود .. فلنحكم فى هذه المنازعات الطاحنة . فلا يكون بيننا بنجاليين . أو باكونجيين . أو بانيتلاس . لكن كونغوليين فقط . أحرارا متحدين . منظمين .. هيا .. فلنحتفل بوحدتنا ببيرة طيبة . انى أدعوكم للشراب أيها السادة .

متعصب : أما أنا فلا احتسى الا البريموس ..

السكير الباكو : البريموس هى ملكة البيرة .. انها بيرة الملك كالا ..

السكير الثانى : البولار .. هى المنعشة تحت الظروف الجوية القاسية ..

مواطن المنصة : اشرب نخب السلام .. كل أنواع السلام سلام القلوب .

سلام الأحزاب .. سلام البيرة . اشربوا أيها السادة . بولار أو بريسوس . فى صحة الكونجو .

الجميع : يحيا الكونجو (يرددون أناشيد الاستقلال).

***

المشهد السادس

بازيليو (ملك البلجيك)

هذا الشعب الهمجي .. الذي هزمته من قبل فيضة بولامتاري القوية ، قد تولينا أمره .. أي نعم .. العناية الالهيـة فوضتنا لهـذا . فأطعمناه وعلمناه ورعيناه . فـاذا كانت مجهوداتنا قـد استطاعت أن تتغلب على طبيعته . واذا كانت جهودنا قد جنت ثمارها ، فسوف نخبره بهذا الاستقلال الذي أمنحه له اليـوم ، فليجرب اذن حريتـه . فاما أعطى لافريقيا المثل الذي نعطيه نحن أنفسنا لأوروبا ، شعب متحد ، أصيل كادح ، سوف يرتفع شأنه في العالم برفع وصايتـه عن رعاياه . وأما أن تنشط الجذور الهمجية التي نمت في أعمـاق البدائية ، المتأصلة وتعاود نشاطهـا السقيم ، خانقة بذلك المحصول الجيد الذي بذروه على مدى خمسين عاما ، بفضل تفاني رسلنا .

الجنرال ماسان : (جنرال بلجيكي) وماذا بعد ؟

بازيليـــو : سوف تعلم في الوقت المناسـب يا ماسان ،

لنثق أولا فى الطبيعة البشرية ألا ترغب فى ذلك ؟

الجنرال ماسان : تعلم يا مولاى ، انى لست متحمس على الاطلاق لهذه التجارب .. وان كانت تحمل مع ذلك علامة الاقدام والكرم .. وهى الصفات التى تميز عبقرية جلالتك .. لكن بما أنك ترغب فى ذلك ، فلا أقل من تلك الحرية التى دخنوا من أجلها الطباق الرديء ، الذى أسكرتهم رائحته ورؤاه المحزنة حتى يشعروا بأنهم منحوا الحرية ولم ينتزعوها . ولا أظن يا مولاى أنهم أغبياء لدرجة انهم لا يشعرون بالفارق بين حق معترف به ومنحة من سخائك الملكى .

بازيليو : اطمئن يا ماسان .. سوف أبين لهم ذلك بشكل واضح .. لكن ها هم .

كالالوجو (رئيس جمهورية الكونغو) متوجها نحو نوتومبا :

سيدى الحاكم .. عفوا .. أريد أن أقول « سيدى رئيس الوزراء » ان سبب اهتمامى ، هو أن الأمور تسير على ما يرام ، أريد أن أقول تسير بطريقة أفضل . ان المبادىء

الاخلاقية ستجعل من هـذه الأمور واجبا ، وكذلك المبادىء السياسية • سيكون الوقت غير مناسب للشكوى والعتاب والكلمات الثابية الجارحـة •• ان الطفولة تنمو مع الألم •• هذا هو القانون •• لكن عندما يولد طفل •• نبتسم له • أريد اليوم كونغو تملأه البسمة •• لكن ها هو الملك (متوجها نحو الحشـد) هيا ، فى صوت واحد ، يحيا الملك •

الحشـــد : يحيا الملك •• يحيا الملك •• يحيا •• يحيـا الملك كالا •

(يلوح الحشد بأعلام صغيرة تحمل علامة كودى ، رمزا لاباكو ، جمجمة يخترقها سـيف • صوت انفجـار بارود • جمع من الأطفـال السود تحت قيادة أحد المبشرين ذوى لحيـة كبيرة ، يرددون لحنا قريبـا من لحن المبشرين حاملى الصلبان الخشبية) •

باتيليـــو : (مخاطبا المسئولين) سـوف أتحدث اليكم حديثا موجزا • ينبعث بالترحم الى أسـلافنا الذين كانوا أولياء على هـذا البلد • أولا الى ليوبولد المؤسس ، الذى جاء الى هنا لا يلوي

أو يسود . وانسا نيعطى وينشر الحضارة وحتى تعلم عرفاننا بجميل كل الذين بنوا هذا البلد وشيدوه بالألم يوما بعد يوم • المجد للمؤسسين . المجد للمشيدين • أيها السادة حتى نعيد بناء هذه الأمة •• فنحن شعب من المهندسين . والصناع • انني أقولها لكم بدون فخر : اننا نعيد اليكم اليوم آلة فى حالة جيدة اعلموا على الأقل انكم تستطيعون دائما واضح . طالما أن الأمر يتعلق بالتكتيك فسوف يكون من المخاطرة عدم ادراك العيوب الفنية ، اعلموا على الأقل انكم تستطيعون دائما الاعتماد علينا . ان مساعدتنا لكم ستستمر مساعدة منزهة عن الغرض أيها السادة • والآن أيها الكونغوليون تولوا أموركم فان أنظار العالم تتجه اليكم ••

كلانوبو : سيدى •• ان تشريف جلالتكم •• لاحتفالات هذا اليوم المشهود . يعطى دليلا قويا وجديدا على رعايتكم لتلك الجماهير التى أحببتموها •• ورعيتموها لقد تلقوا خطبتكم الأخوية بكل الاحترام وبكل الحرارة التى يحيطونكم بها ••

وسوف تحتفظ الجماهير طويلا فى قلوبها بالكلمات التى وجهتموها اليها فى تلك الساعة الحاسمة . سوف يقدرون ثمن الصداقة التى تهبها لهم بلجيكا . سوف يسيرون بحماس فى طريق التعاون الصادق . أما بالنسبة لكم اخوانى الكونغوليين ، أريد أن تعلموا وأن تدركوا أن الاستقلال انما هو صديق للقبائل .. لم يأت لينال القانون .. ولا العادات .. ولكنه جاء ليكملهما ويتممهما .. ويوفق بينهما الاستقلال ، صديق الوطن . لم يأت أيضا ليعمل على تقويض الحضارة . الاستقلال جاء ممسكا بين يديه ، من ناحية بالعادات وبالحضارة من ناحية أخرى .. الاستقلال جاء ليوفق بين القديم والحديث بين الوطن والقبائل فلنبق مخلصين للحضارة ، فلنبق مخلصين للعادات وسوف يحفظ الرب الكونجو .

لومومبا : أما أنا .. سيدى .. فأفكر فى المنسيين ، نحن الذين ضربنا ، وشوهنا ، وأهنا وبصق على وجوهنا . طباخون ، شغالون ، عمال كما تقولون عمالون . شعب من العمال ، من

يشـــت أن الانســـان من المســـكن ألا يكون انســـانا . ولا يســـلك الا ان ينظـــر اليـــه • كل الآلام التى استطاع أن يتحملها الانســـان يا سيدى تحملناها . كل الاهانات التى استطاع أن يذوقها الانسان ذقناها • طعم الحياة . أيها السادة . لم يستطيعوا أن يصبوا مرا فى أفواهنا ولقد كافحنا بوسائلنا البدائية • كافحنا خمسين عاما • وها نحن قد انتصرنا • بلادنا هى الآن بين أيدى أبنائها • هذه السماء ، هذا النهر ، هذه الأراضى ، ملكنا • البحيرة . والغابة ملكنا• كاريزمين . تيـــارا نجوجو . ياموراجـــيرا ، ميكينو ملكنا •• ايه • ان الجبال تتصـــاعد اليها النار والكلمات • أيها الكونغوليون ، اليوم هو يوم عظيم . اليوم الذى يضـــم فيه العالم الى أمه الكونغو أمنـــا ، أو الكونغو ابنا • وليد أرقنا . وآلامنا . أصـــدقاء الكفاح•• وأخـــوة النضـــال . فليتحول كل جـــرح من جروحنـــا الى ثدى ولتصبح كل فـــكرة من أفكارنا ، وكل أمـــل من آمالنا غصـــنا يجدد الهـــواء •

من أجل الكونغو .. انتبهوا .. انى أرفعه فوق رأسى واحمله على كتفى .

انفخ على وجهه ثلاث مرات . أضعه على الأرض واسألكم .. هل تعرفون حقيقة هذا الطفل ؟

وتجيبون جميعا

انه الكونجو ملكنا

أريد أن أكون طائرا . طائرا جميلا . يحلق فى السماء . يعلن للأجناس بكل اللغات .. ان الكونغو ولد لنا ملك لنا .. ليحيا الكونغو .. الكونغو المولود مؤخرا فليحيط بالجميع . أيها الأصدقاء . كل شيء يجب أن يصنع . كل شيء يجب أن يعاد صنعه . سوف نراجع القوانين بعضها تلو الآخر من أجل الكونغو .. سوف نعاود النظر ونحن نقتلع الظلم فى كل أجزاء الصرح القديم من أسفله الى أعلاه .. الواحد تلو الآخر من أجل الكونغو ..

وكل ما أعوج سوف يستقيم . وكل ما نكس سوف يرفع .

من أجل الكونغو .. اطالب باتحاد الجميع ..
اطالب بتضحية الجميع من أجل الكونغو ..

(فترة من الذهول)

يا كونغوا يا أيها الزمن العظيم ..
ونحن بعد أن أحرقنا ثياب العام القديم
علينا أن نبدأ خطواتنا الراسخة المتفائلة
فى العهد الجديد .. فى بزوغ الشمس .

(يدخل أربعة صرافين)

الصراف (١) : هذا مرعب . هذا مرعب . ستكون النهاية سيئة ..

الصراف (٢) : هذا الحديث .. هذه المرة ان حدث . يمكننا أن نرحل ..

الصراف (٣) : (متعجرفا) هذا واضح . حين ينعدم النظام ، على الصراف أن يرحل ..

الصراف (٤) : نعم .. على الكونغو .. هذه المرة أن يسير بدون مرشد ..

(يدور موكوتو مهموما ، ولا يرى أحدا)

موكوتو : كنت قد راهنت عليه . على من استطاع أن يحسن صياغة هذا الحديث ؟ ليقال انى أردت

أن أصنع منه رجل دولة .. اذا كان يريد أن يكسر عنقه فتباله ، يا للخسارة ، يا لها من خسارة .. ان السكين الحادة تمزق حتى غمدها (يبصق) محترف المقابلات .. هل صحيح كما يقال فى قريتى أن الثروة جمل ، يملكه الشخص الذى يترقب اللحظة التى يبرك فيها الحيوان تعبا لكى يمتطيه ..

(يخرج ممتطيا جوادا خياليا)

(وهنا لاعب السانزا يردد أغنية لوبيتو الشعبية)

يمسك الرياح
فليس هناك آمن منهم
وليست لهم ملامح القتلة
ولكن أنوفهم تستنشق كل رائحة تحملها الرياح
انهم شباب لوبيتو
انهم رجال مشوهون
يأكلون كل شيء
انهم رجال لوبيتو

اللوبيتو هى النقـــود
ليسوا طيبون ولا أشرار
انهم رجـــال لوبيتـــو
(يظهر الصراف الخامس)

الصراف (١) : تهنئتى يا سـيدى .. انه عمـل جيـد فى الحقيقة .

الصراف (٥) : أيها الزميل لا أعتقد أنى أستحق قسوتكم .. ما من سياسة الا وتحمل قدرا من المخاطر .. من الجنون يا سيدى أن تفشل خطتك .

الصراف (٢) : انظروا كيف يستخرج العبارات والتصميمات .. من الجراءة يا سيدى أن تحبط خطتك .

الصراف (٥) : عبـارات .. كلا .. انها افتراضات أيهـا الزمـلاء .. عند أقـل وخزة .. كهبوط من الفراش . لن يطيلوا عليكم .. تنبهوا واتبعوا الفكرة .

(يهمس فى أذنهم)

سوف تعترفون أيها السادة أنه منطق سليم .. اذا كان ليو يتمسك بتقرير المصير . لكن .. لا نستطيع أن نسمه .. ولكن ليكون ذلك الحـل ولمناجنا قبل كل شىء .

الصراف (١) : صوت .. صوت .. دعونى أسمع ما يقوله الزميل . منطقى فى الغالب ..

الصراف (٢) : أيها الزملاء عندما تأمل محيط الفوضى الذى تهوى البلاد فيه يلوح لى أن الحل الأخير يبقى حقا .. أمام هـذا الكونجو المتعثر المترامى فى الأطراف . هناك فكرة تفرض نفسها .. فمن غير اللائق الا نستطيع أن نخرج كاتنجا طواعية من هذا التلاحم الضخم .

الصراف (١) : آه لقد فهمت ما ترمون اليه .. ولهذا أعانقكم . يحيا اليورانيوم حرا .. هـذا أمر طيب أليس كذلك ؟

الصراف (٥) : ليس اليورانيوم فحسب .. الماس كذلك .. النحاس .. والكوبالت .. وأخيرا كاتانجا .. كاتانجا المنعثرة الزائغة الصيت ..

جوقة الصرافين : هوراه .. هوراه .. تحيا كاتانجا ..

***

المشـــهد الســـابع

(علبة من علب الليل .. ملهى الايليت ومن خلال اسطوانتين لفرانكوروميا أفور .. يسمع صوت احدى المذيعات الهامس) .

المذيعـــــــة : هنا اعادة التسليح الاخلاقى الافريقى .. الى العمل .. أيها المواطنون الى العمل .. اقول الى العمل .. كما سأقول الى الســلاح .. ذلك أن حربا قد بدأت أيها الكونغوليون .. الحرب من أجل هذا البلد . لذلك فان تعبئة القـــوات العاملة يجب أن تكون كامـــلة غير مشروطة بوحى من الضمير وبارادة قوية .. ان الأيام التى عاشها الكونغو لشبيهة بعصر ما قبل التاريخ لكنا بالاســتقلال قد دخلنـــا التاريخ .. والتاريخ أيها المواطنون هو العمل. الى العمل .. الى العمل أيها المواطنون .

(فى تلك الأثنـــاء صوت آخر يرتفع انه صـــوت المطـــالبين)

المطـــالبون : تنبهوا .. تنبهوا .. أيهـــا الكونغوليون ..

صـــموا آذانكم عن أصـــوات المخبولين .. أخرجوا من خنادقـــكم .. من متـــاجركم .. ومصانعكم .. لتطالبوا وتستردوا الاستقلال .. لا ينبغى أن يكون كلمة جوفـــاء .. صدقونى الكلمة ليست جوفاء لكل النامس .. اسألوا نوابكم ووزرائـــكم .. الســـيارات للوزراء والنـــواب . النســـاء للنـــواب والوزراء .. أما بابا نويل فهو للسود ذوى المونوكل .. ليكن بابا نويل للجميع .. هذا هو الاستقلال الكونغو كما نفهمه نحن .. يحيا الاستقلال الكونغولى .

(يمتـــلىء المسرح بالجنـــود الكونغوليين نصف انســـكارى . أحزمتهم فى أيديهم وهم يصيحون .. يسقط السياســـيون لومومبـــا لاشىء .. لومومبا بامبا) .

***

المشهد الثامن

(تتغير الأضواء .. نحن فى كالينا .. فى مكتب رئيس الوزراء)

تومومبا : استدعوا ماكيا .. كانجولو متغيب .. رئيس مجلس وسيم .. من العبث ان نبحث عن سيسوكو .. انه نائم ولا يستيقظ قبل آن يحل الظلام .. وهل تعتقدون أن هذا الوضع سيستمر هكذا .. اللعنة اللعنة .. من نحن . أيها السادة ؟ سوف أقولها لكم .. انا مساجين .. أنا سجين . سجين بارادتى .. أنتم يجب آن تكونوا مساجين محكوم عليكم بعمل لا نهاية له . ليس لكم الحق فى أى راحة .. أنتم تحت تصرف الكونجو أربعا وعشرين ساعة كل أربع وعشرين ساعة .. الحياة الخاصة لاشىء .. لاتوجد حياة خاصة . فى مقابل ذلك لن يكون لكم أى اهتمام مادى .. فلن يكون لديكم الوقت . أعلم . أعلم .. يبدو أننى مبالغ .. ومغامر ..

وجسور .. وماذا ؟ نعم هو هذا .. يبدو أنى أريد ان أصهل بسرعة .. حسنا .. جباعة لوليبية .. نعم .. يجب أن تتقدم بسرعة .. يجب أن تتقدم بسرعة فائقة .. هل تعلمون كم عندى من الوقت لكى أتسلق خمسين عاما من التاريخ ؟ ثلاثة شهور أيها السادة .. وتعتقدون أن لدى الوقت حتى لا أتقدم بسرعة .

مبولـــــو : أيهـا الرئيس .. الجنود .. الجنـود انهم قادمون ..

لومومبـــا : الجنود .. ماذا يفعلون ؟ الجنود ؟ يصيحون ؟ بماذا يصيحون ؟

مبولـــــو : انهم يتحاملون عليك شخصيا أيهـا الرئيس ويصيحون الى الموت يا لومومبا لومومبا بابا.

لومومبـــا : (غاضـبا) أما من شيء آخر ؟ قـذرة .. أنذال .. فلامنديون .. كلهم فلامنديون .. فلامنديون لقطاء .. عندما أفكر أنهم زحفوا طوال خمسين عاما أمام بلجيكا .. وفى الوقت الذى يستريح فيه بعد .. أراهم ينهشون كعوبنـا .

أحد الوزراء : شيء مبهج .. بداية طيبة للاستقلال .

نوموميـــا : يا له من عباء .. وكيف كنت تتخيلها ؟ وكيف ترى استمرارها ؟ وكيف تعتقد أن هذا سيمر ؟ عندما عينتكم وزراء هل أحسستم بأنني أدعوكم الى حفـل ترفيهي ؟ على كل حـال ، أنـا لا أعتبركم خونة .. سوف نحصـل على كل شيء .. وفي وقت واحـد ؟ وعلى الفور .. الثورة .. التخريب .. التهديد الوشـاية .. التشهير .. الخيانة .. تندهشون لذلك .. تلك هي السـلطة الخيانة .. ربما الموت .. الموت بلاشك .. وهذا هو الكونغو .. افهموا الكونغو بلد يجري فيه كل شيء بسرعـة .. اليوم بذره في الأرض .. غدا تصبح شجرة .. ماذا أقول .. غابة بأكملها .. ان الأشياء التي تجري بسرعة سوف تسلك طريقهـا على كل حال .. لا تعتمدوا على في الحد من سرعتها .. مولو .. دع هـؤلاء الصاخبين يدخلون .. سوف أتحدث اليهم .. وسوف أجعل قلوبهم ترتد الى أعماق صدورهم .

(يدخل مندوبو الجنود)

أدخلوا أيها السادة .. آه كم انا آسف على أن المدينين لم يصطحبوكم هؤلاء السادة من الابيك والاوزاكو الذين يضعون ، اليوم .. السكين على أعناقنا .. كنت سأسألهم .. اذا كان من اللياقة الاحتفاظ طوال خمسين عاما بالفم مغلقا ومرتجفا .. أمام البلجيك .. دون الموافقة على حكومة كونغولية .. حكومة من الكونغوليين .. حكومة من الأخوة تجيء فقط لفترة لاتزيد عن شهور معدودة من أجل دراسة الملفات وبحث المسائل المعلقة .. أما بالنسبة لكم أيها الجنود .. فلن أتحدث بطرق ملتوية : مطالبكم شرعية .. أفهمها وأريد أن أجعلها قانونية .كنتم قوة شعبية تحت أمرة البلجيك.. جيش وطني .. تطالبون أن يتولى قيادتكم وطنيون .. أي شيء أفضل من ذلك .. اننا لا نستطيع أن نتردد لحظة واحدة أمام هذا القدر من الاصلاح الافريقي .. الا أن ارادتنا الطيبة قد أخفقت بسبب أحكام الجنرال ماسان. وهواياه ، السيئة . خذوا العبرة أيها السادة ، انظروا كيف أن الاستعمار خائن . عنيد ، مخادع ، ولكننا أزحنا ماسان .

المجمـــوع : يسقط ماسان .. يسقط ماسان ..

لومومبـــا : لقد عزل ماسان وستحقق الحكومة مطالبكم . الحكومة توافق اذن على ترقية كل واحد منكم رتبـة أعلى .. الجندى من الدرجـة الاولى يصبح رقيبا . والرقيب مساعدا .

الجنـــود : كلا .. كلا .. كولونيلات .. جنرالات .

موكوتـــو : سيدى رئيس الوزراء . ما يطلبه الجمع هو أفرقة كاملة وسريعـة للكادرات . وحيث أن الأمور تسير الى هذا الحد . فلا توجد دقيقـة واحدة نضيعها .

لومومبـــا : الموقف لم يفلت من الحكومة .. وبناء على ذلك يمكننى من الآن فصاعدا أن أخبركم بأن الحكومة تأمل . كلا تقرر .. كلا . بل قررت أن تعين من اليوم جنرالا كونغوليا وكولونيلا كونغوليـا . أما الجنـرال فهو لونـدولا وأما الكولونيل فهو سكرتير مجلس الشباب مبولو . الموجود هنا الآن .

المجمـــوع : لا .. لا .. مبولا لا .. انه ليس جنديا .. انه سياسى .

بعض الجنود : انه موكوتو الذى نريده .. يسقط مبوتو .. يحيا موكوتو .. موكوتو قضى سبع سنوات فى الجيش الشعبى .. انه جندى حقا .

لومومبا : تختارون موكوتو .. ليكن .. أوافق على رغبتكم .. فى الحقيقة موكوتو جندى .. وهو صديقى .. وأخى .. أعلم أن موكوتو لن يغدر بى أبدا . مبولو كان قد عين من قبل الحكومة .. حسنا سأعين أنا موكوتو .. لنكف عن الكلام .. لقد تم تسوية المسألة .. الموضوع لم يعد معرفة اذا كنتم ستصبحون ضباطا أم لا .. طالما أنكم كذلك .. الموضوع هو معرفة أى نوع من الضباط تختارونه . ضباط شرف ؟ أم ضباط ترف ؟ أم ضباط من الطبقة الجديدة ؟ ما تريده الحكومة هو أن تكونوا ضباط الشعب الكونغولى ، حيويتكم مستمدة من روح الشعب الكونغولى .. وعزيمتكم من أجل حماية الاستقلال الكونغولى ؟ أتريدون هذا ؟

بعض الجنود : نعم .. نعم .. يحيا لومومبا .

لومومبا : جنود وضباط الكونغو .. اذا جاء العدو ..

وقد لا يكون من المستبعد أن يحدث هـذا بأسرع مما نتوقع .. يجب أن يصـاب بغيبة أمل .. مثل الصقر عندما يحاول أن يستولى على اللحم التى يعدهـا القروى للشى فتحترق بجانبـه .

يحيـا الجيش الوطنى الكونغولى .. يحيـا الكونغـو .

(صيحات الجنود)

(وهنا يغنى لاعب السانزا)

رمـاد النـار

نشوان موسـم الحصاد

عصفور صغير يروح ويجىء

عصفور صغير نـاء

من الصغر حتى الكبر

يا له من عقل عصفور .. يقول الفخ ؟

العصفور قد نسى الفخ

والفخ لايزال يذكر العصفور .

***

(فى الظلام ، لاجئون من البيض يعبرون المسرح، يحملون قدر طاقتهم هؤلاء هم سكان المستعمرات مع بيلوكو . وفجـأة تسلط الأضواء الحمراء على خريطة كبيرة للكونغو . فـوق السرفـة وخـلال الظـل تلمح خيالين) .

المذيـع (١) : ميوزوتيس تنادى جاردينيا ميوزوتيس تنادى جاردينيا .. آلو آلو .. ردى يا جاردينيا .

المذيـع (٢) : آنجيل .. بيتى تنادى آنجيل .. نخبركم أن اثنى عشر سيارة محملة بالنسـاء والأطفـال تتحرك نحو قاعـدة كيتونا .. نرجو المجىء لمقابلتهم .

المذيـع (٣) : ميوزوتيس تنـادى جاردينيـا .. آلـو جاردينيـا .. نخبركم بأنباء لولو أبورج .. اقـليم كاسـاى التى تلقيناهـا حـالا .. ١٢٠٠ أوربى حجزوا فى مبنى أيموكاساى .. محاصرين بقوات كونغولية مسلحة برشاشات .. وهاونات .. نرجو ارسال قوات النجدة .. ضرورى جدا .. انتهى .

المذيع (٤) : فينكس •• آلو فينكس •• نخبركم من جهة جوبا •• قوات وانسا •• ثورة شاملة •• أربعون ضابط بلجيكى سجنوا مع عائلاتهم يعانون القسوة •• من الضرورى سرعة التدخل •• انتهى •

(يدخل بازيليو وماسان فى زى قائد بلجيكى)

ماسان : وبعد يا صاحب الجلالة •• التجربة قضى عليها •• لقد سلبونا الكونغوا •

بازيليو : للأسف ••

ماسان : انهم متماسكون •• يجب اعادتهم الى رشدهم •• ولا أرى الا وسيلة واحدة •

بازيليو : أعرف يا ماسان •• أعرف •• وسيلة لا يسمح لنا القانون الدولى •• مع الأسف •• بأن نلجأ اليها •

ماسان : مولاى ان الوقت لم يعد يسمح بسوقنا شرعية •• ان حماية الحياة الأوربية •• الحياة الانسانية •• هو أمر حتمى يتجاوز كل الأمور الأخرى ••

بازيليـــــو : حقا يا ماسان .. كل الأمور الأخرى .. هيـا بنا .. انى أمنحك حق التصرف .

ماســـــان : (بصوت جهورى) أيها الجنود الى الأمـام

(منظر الجنود الكوماندوز البلجيك

وهـم يتحـركون . ظـلام)

صوت لومومبا : (يطـلق صيحـة الحرب الكونغولية) أيهـا الكونغوليون .. لوما .. لوما ..

(صوت طبول الحرب تدق طوال الليل تتناقل نبأ الهجوم البلجيكى)

***

(عندما تضـــاء الأنوار .. تكون فى طائرة فوق اليزابيث فيل .. ريـــاح .. أمطـــار برق) .

لومومبـــــا : يا له من جو أنظروا .. أنظروا .. الريح تقتلع الأشجار .. يا لها من أمطار الجو أسوأ من وضع الكونغو .. وهذا أقل ما يقال .. كأنها أشباح قطيع من الفيلة تتسارع حول غابة من البامبو .. انه موسم الأمطار الذى يبدأ مبكرا .. أليس كذلك .

كـــــالا : من المؤكد أن الجو ليس جميلا .. لكن عندما نقع فى حيرة يقول جهلنا انه الضباب .

لومومبـــــا : أيها الطيار .. ماذا تنتظر لتهبط .. هلا تنتهى هذه الرحلة .. أين نحن ؟

الطيـــــار : وصلنا فوق اليزابيث فيل .. لكن يا سـيدى الفاضـــل . ها نحن قد دخلنـــا قلب اعصـــار استوائى .. وها هو المذياع يفسر لى الأمر .

(يقدم له ضباط اللاسلكى ورقة)

العيون .. واكرر له كلمـــات أغنيتنـــا
الكيكونجويـــة .

أخى . شيء تملكه بيدك تمسكه

وآخر يريد أن ينزعك اياه .. هل تقبل ؟
تعرفون الاجابة ؟ كيزولاكو . لا أقبل !

(النواب يقفون ويصيحون)

كيزولاكو . لا أقبل .. لا تقبل .

* * *

المشهد الثانى عشر

(ظـلام .. ثم ضـوء .. أثنـاء تجمـع بعض الخبراء الأوربيين فى نهايه المسرح حول هرشولد .. يمر لاعب السانزا فى المقدمة ويغنى) .

آباتا الكونجـو

تحمل زهورا وجزرا

ما الذى يقبض قلبك غير الشهب

لمـاذا تحطمـه الشهقات ؟

هرشـــولد : (للخبراء) أيها السادة .. أنـ متاكد أنكم جميعا تشعرون مثلى باهمية تلك اللحظة التى نطـأ فيهـا للمرة الأولى أرض الكونغو .. فالكونغو ليس مجـرد بلد أو دولة أو أمـة بائسة .. تلح فى طلب مساعدتنا .. كما تحتاج لحمايتنا . وانما أيضا منطقتنا ركيزة من أجل الخدمة الدولية العامـة ومركزا للتجارب .. مركزا ممتازا للتجارب .. كذلك فان العمـل الذى ينتظركم هنا ليس بالعمل السهل .. نحن

نعمل هنا من أجل مستقبل العالم .. فلنسعى اذن بما لدينا من ذكاء الى التغيير الخلاق الذى كان لنا شرف المساهمة فيه .. أيها السادة .. اذا كنت أريد فى هـذه اللحظـة الفريدة أن أحاول ليس فقط تلخيص معلوماتى .. ولكن تركيز العمل فيما أود أن تبذلوا فيه جهدكم .. هنا فى الكونغو .. فانى أعتقد أنه يجب أن نلجأ الى تلك الأبيات من الشعر :

أنى اجهلك أيتها المشكلة . ورأى هو أن نحياها ..

بالمشعل فى الريح .. باللهب فى الريح

كل البشر فينا ، يمتزجون ويغنون

فى مشعل كبير يزيد فينا الضوء ..

ثائر هو الجسد حيث تبكيت الضمير يبقينا عصاة

وهذا هو زمن الثروة الطائلة .. فيه يحث مغامرو الروح

الخطى على ساحـة الرجـال ، يختبرون الأرض على سعتها

فوق أهوائها يتعرفوا على معنى هـذه الفوضى الكبرى .

ويختبروا الفراش . وماء السماء . وروافد نهر التلال على الأرض

وربما ارتابوا لعدم حصوله على جواب ..
ولكن ها هم مضيفونـا . تأملوا هـذه الكلمات .. أيها السادة .. تأملوها للحظـة وأيدوها .. فى زمن الفروسية الجديدة حيث أدفعكم جميعا الى ساحة الرجال الملتهبة .

(متوجها بحديثه الى الكونغوليين) أيضـا السادة أعضاء الحكومة الكونغولية انى سعيد بمجيء الى الكونجو .. فى الوقت الذى تضع فيه الأمم المتحدة . بناء على رغبة الحكومة .. كل امكانياتها تحت تصرفها لمعاونة حكامها فى تدعيم قواعـد مستقبل مزدهر سـعيد . ومن الطبيعى وأنتم ترونى للمرة الأولى أن تتساءلوا أى رجل أنـا .. سأقول لكم : أنـا رجـل محايد .. لقد تساءلنا مرارا .. هل يوجد رجل محايد .. حسنا هو أنـا .. حمـدا لله أننا

الطيـــــار : (يقرأ) هيـا اذن .. مزيـرى وتشـومبى بشخصيهما فى برج المراقبة .. سلطات كاتنجا ترفض هبوط الطائرة .

لومومبـــا : مزيرى ؟ تشومبى ؟ سلطات كاتنجا ؟ نحن .. نعم أم لا .. حـكام الكونغو ؟ وكاتنجـا ، أليست هى جزء من الكونغو نعم أم لا ؟ أيها الطيار أهبط ؟ أهبط .. أقول لك ؟ مهمـا يحدث .

الطيـــــار : مستحيل .. سـيدى الوزير الجو غايـة فى السوء .. وقد أطفأوا علامات الممر .. أنـا مضطر انى الارتفاع مرة أخرى ..

لومومبـــا : يا لك من شقى .. خائن .. فلامندى .. أنك متحالف مع انفصالى الكونغو ترفض ..

(بينما تعود الطائرة الى الارتفاع)

الطيـــــار : سيدى الرئيس الى أى اتجاه ؟

كـــــالا : ليوبولد فيل

لومومبـــا : كلا .. الســـلاح .. الســـلاح .. الى موسكو .. الى موسكو ..

(ظـــلام)

***

المشهد الحادى عشر

(عندما يعود الضوء .. نكون فى البرلمان الكونفدرالى بلبيرولك ثيل . حيث يتخذ الأعضاء اماكنهم .. بدر لاعب السائرة يغنى)

ساقى الملافو يصعد الى قمة شجرة :

انزل أيها العصفور الصغير
أهبطى أيتها النحلة
ان الأرواح الطيبة تغنى عند أقدام الشجرة
يا ساقى الملافو أنت تصعد وتصعد
يا طائر الحرية الشجاع

العضو (١) : زملائى الاعزاء والمبجلين .. لقد تحولت الكونفو الى مقبرة فسيحة يتدفق اليها الجيكيون مثل جيوش الرومان .

العضو (٢) : أوجه نظر الحكومة لمسألة الأموال .. نعم الأموال .. الكنز الكونفدرالى كان قد اختفى .. تبخر مع ريح الشمال .. من أين نستخرج المال الآن ؟ لقد نقل بنك الكونفو

الى كاتنجا • هل ستنام بينما روما تحترق ؟ انه السؤال الذى اوجهه للحكومة • من ناحيتى لن أتردد فى أن أعلن رغبتى وهى أن أموت فى مقر المجلس •

العضو (٣) : لست هنا بالتاكيد لكى نوبخ بعضنا البعض ، أيها الزملاء ، بينما هناك بعض المسائل التى لايمكن أن ندعها تمر فى صمت •• ان رئيس وزراؤنا ورئيس جمهوريتنا لم يعد بيننا •• يجب أن تكون لدينا الشجاعة أمامهما عندما نعتقد أنهما فى نيو •• يكونا فى ماتادى •• وعندما نقول أنهما فى ماتادى •• يكونا فى بنان •• وفى بتان يقولون أنهما فى موانداوبوما • أنهما يحلقان يمينا ويسارا •• هنا وهناك ودائما معا •• فكروا فى هذا أيها السادة •• فى بلد متحضر •• عندما يخرج الزوج •• يجب على الزوجة أن تبقى فى المنزل• وأطلب من المجلس أن يضع تصريحى موضع الاعتبار •

لومومبا : أما أنا أيها السادة •• فأؤكد لكم •• أننا لا نتجول بما فيه الكفاية •• آه •• من ناحيتى

كنت أتمنى أن أتضاعف .. أن أنقسم .. أن أصير أنا نفسى عددا لا يحصى .. حتى أتواجد فى كل مكان فى نفس الوقت .. فى ناتادى .. وبوما واليزابيثفيل ولولوابورج .. حتى أستطيع أن أحبط مؤامرات العدو المنهارة فى كل مكان .. ذلك أن مؤامرات العدو تنفجر فى كل مكان .. هذا التآمر .. تآمر البلجيك .. أراه يندس منذ اليوم الأول لاستقلالنا .. يدسه رجال يدفعهم الغضب وتحركهم الكراهية .. أراه تحت ملامح الجنرال ماسان .. وهو يثير الجيش الشعبى ضد الحكومة والذى كنا بالنسبة له جميعا حفنة من السياسيين والانتهازيين .. التآمر البلجيكى .. آراه فى شخص سفير بلجيكا فى ليو .. السيد فان دن بوت .. مستهدفا مشوشا ، ولكى يساهم بطريقة أكثر فى تفتيت جمهوريتنا .. نظم ترحيل موظفيه بطريقة جماعية .. التآمر البلجيكى .

انى أراه فى قضية الجنرال . يعد بعناية منذ اليوم الأول .. المظليين والغزاة .. المؤامرة البلجيكية .. انها معاهدة الصداقة التى وقعت

البلجيكيون معنا.. تمزقت كقطعة من الورق.. تلك هى قواعد الارتكاز التى أعطيناها لهم .. تحولت الى قواعد هجومية ضدنا .. المؤامرة البلجيكية . انها كابالو .. بوما .. ماتادى .. ماتادى وأكوام الجثث ولكن ما هو أبشع يتم اليوم ١١ يوليو سنة ١٩٦٠ تشومبى .. أخونا ابراهام تشومبى .. يعاونه مزيرى . تشومبى الذى يوجهه ويدفعه .. ويحميه .. ويموله ويسلحه البلجيكيون .. يأتى دون استفتاء شعبى سابق ليعلن استقلال أغنى أقاليمنا . كاتنجا .. وأول فصل فى استقلال كاتنجا .. كما لو كان صدفة .. هو توقيع اتفاقية مع البلجيك .. بوجود عسكرى وتعاون اقتصادى .. هل هذا واضح بما فيه الكفاية .. التآمر البلجيكى .. أيها الكونغوليون .. هذا التآمر هو الذى يجب أن يحطم .. كما نحطم أرجل الضفدعة فى الماء .. أيها الكونغوليون .. هل تتركون استقلالنا يضرع بعد أن ضحينا من أجله بالكثير ؟ وأنتم أيها الافريقيون .. اخوانى ، مالى ، غينيا ، غانا .. أناديكم أيضا خلف حدود الكونغو ، افريقيا أصيح فيك ..

هل يعتقدون أدن ان اذان افريقيا صماء ؟ ام يعتقدون بهبوط فى قلبهـا ؟ أم يعتقدون ان افريقيا عاجزة عن امتلاك حريتها ؟ اعلم جيدا أن الاستعمار قوى .. ولكنى أقسم بافريقيا أن الكل متحد .. الكل متوحد وسوف نطعن الوحش فى أنفه ..

اخـوانى .. لقـد حقق الكونغو نصرا كبيرا .. لقد بعثنـا بنداء الى هيئـة الأمم المتحدة .. وقد رحبت بطلبنا .. غدا سيكون بيننا فى ليوبولدفيل السكرتير العام لهيئة الأمم المتحدة مستر هرشولد .. الذى يقر العـالم الثالث بنزاهته وحياده .. نحن نثق به .. هيئة الأمم المتحدة ستعيد الينا حقنا وسيكون العدل فى جانبنا .. انى لا أشـك فى ذلك .. فى وجه العالم . الملىء امتلىء بالعدل .. أيهـا السادة . لقد أنهيت حديثى وفى كلمة واحدة .. الله استقلالنا .. الله وجودنا كأمة .

أنها حريتنا وكل ما يمثله الاستقلال لهذا الشعب الذى يلعبون به . وبعد انى أتأملكم .. ومن خلالكم أرى كل كونغولى .. العيون فى

موجود .. وأنا رجل محايد .. المشاكل التى تعترض الكونغو يجب أن تحل بوسيلة سياسية .. ودبلوماسية طبيعية .. أريد أن أقول انها يجب أن تحل لا بالقوة ولا بالارهاب .. ولكن بروح من العدل والسلام .. ولهذا يستطيع الرجال المحايدون فى هذه الحالة أن يعملوا ويعاونوا الكونغو بكل طاقاتهم على ايجاد حل مرضى لمشاكله .. وفى النهاية ما المقصود بالرجال المحايدين ان لم يكونوا رجالا عادلين ؟ هل على بعد ذلك أن أحدد فهمى لهذه الكلمة فى معناها الأكثر تداولا .. واذا كان لى أن أقول الأكثر انتشارا .. انهم كما يقول الأستاذ « ايكار » هؤلاء الذين تخلصوا تماما من ذواتهم .. الذين لا يبحثون عن شىء فوقهم أو تحتهم أو حولهم .. هؤلاء الذين لا يسعون الى جاه أو مجد أو حظوة أو متعة أو فائدة .. أو خلود .. أو جائزة لكنهم تخلصوا من كل هذا باختصار هؤلاء الذين يعطون الله حقه .. والذين يحقق بهم الله فخره .. هكذا وبهذه

الروح أيها السادة تأتى بينكم لتعاونكم فى تسكين الآلام وتهدئة العقول .. لتوفق بين القلوب .. عدل اذن وسلام .. بهذه الكلمات أحيى الكونغو .. يحيا الكونغو .. سالما وسعيدا .

***

المشهد الثالث عشر

(بينما يحتفل الكونجوليون برقصات وأغنيات الاستقلال يتقدم الى الأمام احد السفراء) .

السفير : أعلم جيدا أننا كدولة لنا سمعة سيئة .. يتهموننا بأننا ننقاد بسهولة . لكن هل من الممكن ممارسة سياسة الكرسي الهزاز والعالم يضطرب .. والشعوب تتصارع للاشيء .. وعندما لا تتصرف الشعوب بطريقة لائقة .. لابد وأن يعيدها شخص ما الى السلوك السوى . ان العناية الالهية قد فوضتنا للقيام بهذه المهمة .. شكرا لله .. وبعد لقد سمعتم كما حدث فى الطائرة .. لقد صاح .. الى موسكو .. الى موسكو .. حسنا .. فلنعلم أننا لسنا فقط حراس العالم ولكننا أيضا صناعه .. الصناع الموكول اليهم فى كل مكان حصر النار التى يشعلها المد الشيوعى .

أقول « فى كل مكان » فى الكونغو .. كما فى أى مكان آخر .. الى من يهمهم الأمر .. سلاما .

***

الفصـــل
الثـــانى

المشـــهد الاول

(نفس المكان الافريقى الذى ظهر فى الفصل الأول ، دخول وخروج فيلقات ... وما ماكوزى ، لومومبا ، موكوتى ، واصدقاء يتخذون اماكنهم) .

لومومبـــا : أما أنـــا .. فأعيش تلك الأماكن .. أعلم أن هذا ينهش الفرنسيين من كل جهة . ولكن ...

موكوتـــو : حقا .. فلم يفوتهم أن يظهرونا أمـــام الرأى العام العالمى على أننا قرود داعرة ؟ وهل نستطيع نحن الوزراء والعسكريين أن نستمر فى التردد على أماكن شبابنا هـــذه ! هذا سؤال يمكننا أن نطرحـــه ! أنت الآن سبوتا موتو . فكر فى الأمر .

لومومبـــا : بالنسبة لى .. الأمر منتهى .. شىء جميـــل أن نرى تلاعبنا يجعلون أنوفهم أمـــام أكواخ

ليوبولدفيل . وأعتقد أن الأمريكان يجب أن يصنعوا نفس الشيء أمام هارلم • واذا لم يترك الطغاة الحرية للمظلومين كما تركوا لهم الرذيلة؟

موكوتـــو : ألم تفكر فى المجيء الى هنا لمناقشـــة أحوال الأمة •• وكم قيل أن الكونغو ماخور كبير •

لومومبـــا : سوف أفكر فى اقتراحك يا موكوتو . والآن لنكن جادين فى حديثنا . أوروبا جاءت ولم ينهار الكونغو •• أهو كذلك ؟ بل أبشع من ذلك • فقد دخل الكونغو طريق الانحلال • بدأ يتحلل عضـــوا بعد آخر •• ويتعفن كل بدوره •• الأمة •• الأسرة •• الانســـان حتى أن ذلك الكوخ بحيواناته المحرمة والمهجنة . وربما كان هو صـــورة للكونغو المعاصرة من العفن الى الشمـــس •• مما يشجع على أن نرى رؤوسهم من وقت لآخر وهى تظهر من خـــلال السباخ كمـــا تظهر البـــذور الوليـــدة • (محـــدثا ماما ماكوزى التى تقترب) وبعد ماما ماكوزى؟

ماما ماكوزى : باتريس •• هل أستطيع أن أعتمد عليـــك فى احتفالنا برفع الحداد ؟ سيكون ذلك رائعا •• لقد استأجرنا بار الايديت •

موكوتـــو : ماما ماكوزى .. لتعلمى أنـه لا يمكننـ أن نطلب من رئيس الوزراء ما يمكن أن ننتظره من الصديق باتريس .

ماما ماكوزى : أوه .. هل تعلم أن باتريس سيظل دائما هو باتريس بالنسبة لنا .. حيث يذهب نذهب .. وانى على يقين من أنه سيأتى حيث نكون .. انه شخص لا يخجل من أصدقائه .

فتـــــاة : أوه .. حقا .. كم سيكون رقيقا .. بما انى مبشرة ، فقد اكتشفت أغنية رائعة .. هـل تعرفها ؟ (تغنى)

« عندما أرتدى شالى الأخضر »

(يدخل المجنون ، يسير بين الموائد وهو يدندن)

موكوتـــو : من هو هذا الشخص ؟

ماما ماكوزى : شخص مجنون .. لم تفعل شيئا منذ يومين سوى محاولة طرده .

موكوتـــو : لماذا تفعل الشرطة اذن ؟

توموبـــى : لندع هذا المجنون فى سلام . انه لا يضايق أحـدا .

المجنـــون : (يصيح) آه .. الـه المسيحيين .. لمـاذا سمحت للبيض بأن يذهبوا ..

موكوتـــو : أسمعت .. ها هو شخص لا يمكنه مطلقـ أن يعيش .. لأنه لم يعد يحصل على نصيبه من الطعام كل يوم انه سـم زعاف كغيره من السموم .

لومومبـــا : كلا يا موكوتو .. بل أفظع بكثير .. فى الواقع الأمر يتطلب أن تكون الرأس أكثر صلابة من رأس أى من أسلافنا ..

المجنـــون : الهى .. لمـاذا جعلت السود سيئين الى هـذا الحـد ؟

موكوتـــو : من أفضل الى أفضل ..

المجنـــون : لقد نزلت الى النهر لأعثر على الرجال البيض الذين تركوا قريتى ، ولكنى لم أجـدهم .. البيض تركوا القرية والرجـال السود تنصب عليهم لعنة الله .

لومومبـــا : أترى يا موكوتو الفائدة من التردد على تلك الأماكن ! ماما ماكوزى . شكرا لملهـاك الذى

سمح لى بأن أقيس من أول نظرة حراك واقعنا العميقة .. ومن أى ألم يبقى علينا أن نعالجه.. هـذا الشعب .. ماما ماكوزى تستطيعين أن تعتمدى على . سوف أحضر حفل رفع الحزن الذى تقيمينه وسوف أصحب معى وزرائى .

***

المشـــهد الثـــانى

(كالينا ، اجتماع الوزراء الكونغوليون)

لومومبـــا : الموقف باختصـــار هو أنه لا توجـــد دقيقـــة لنفقدها .. ان المعركة التى نخوضها الآن .. معركة تدور على الجبهـــات .. وهى لا تزيد أو تقل عن أن تـــكون معركة من أجل بقـــاء الكونغو .

كـــــرولار : (ســـكرتير بلجيـــكى) معـــذرة .. معـــذرة يا عزيزى .. قبل أن نبدأ .. أريد أن أنبهك أن الـــسكرتير المساعد للأمم المتحـــدة مسيو بانش ، يلح بكثرة على رؤيتك ..

لومومبـــا : من طلب منه الحضـــور ؟ من الذى دعاه ؟ اسمع يا كرولا ربما أنك عملت على مقاطعـــة حديثى ، أعطنى الملف الخاص برؤساء القبائل بالمناســـبة ، يجب أن نعيد النظر فى مســـألة التأشيرات أيها السادة ، يدخلون الكونغو .. هكذا بدون تأشيرات .. والأدهى .. بتأشيرة بلجيكيـــة .

كـــرولار : سـيدى .. مسيو بانش يبح كثيرا .. يقول أن ..

لومومبـــا : كرولار .. اذهب ودعنا نعمل ؟ (يتجه ناحيـة التليفون) آلو .. آلو ستانلى فيل .. أهـذا أنت يا جـان .. موافـق .. قم بتنظيـم الاجتماع .. سأتخذ القرار .. أخبرك من الآن فصاعدا انه ستحدث أزمة .. وظد نفسـك على عصيان رؤساء القبائل وتعبئة العاطلين .. آلو .. آه .. نسيت .. لا تنسى أن تطلب أطنانـا من البيرة .. نعـم البيرة .. لـكل الجماهير سلام .

(يضـع السـماعة)

(يدخل اسحق كالونجى)

اسـحق : سلام .. سـلام على الجميع .. كل هـذا حسن وجميـل عزيزى رئيس الوزراء لكن أخبرنى متى ندخل كاتنجا ؟ لا أفهم معنى هذا التردد طويلا ؟ لا مفر من الاغـارة .. من الاغارة على باكوانجا .. وهنا ينهض اتباعنا فيهرب البير كالونجى ديتلو تشومبى صلاواته.

مبولـــو : أنـا متفق مع اسحق .. يجب أن نستولى

على باكوانجا .. من يملك المال يملك التاج .

لومومبا : لا مفر كما تقول .. ولكن لا مفر من اعطائى طائرات .. انى أفكر فى هذا يا اسحق .. أفكر فى هذا ..

موكوتو : ليس فقط طائرات .. سيدى الرئيس .. فرق أيضا فرق .. لا توجد نقود اذن لا توجد فرق .. هذه هى العسكرية ومنذ شهرين لم تدفع المرتبات .

لومومبا : حسن .. حسن سوف نعطيك نقودا ؟ والآن يا كرولار هل يأتى هذا الملف .. كل هؤلاء الصغار من مدعى السلطة الذين عانوا المستعمرين على سحق شعبنا .. كلاب الحراسة المسخرة للبلجيك .. يجب القضاء عليهم واتاحة الفرصة للصفوة الحقيقية .. وأين سنجد الصفوة .. ان لم يكن فى الشعب .. وبعد يا كرولار .. أين الملف ؟

كرولار : لا أجده يا عزيزى .. أى فوضى هنا .. توجد على الأقل لفة ضخمة لم أكن أبحث عنها ..

أفتحها .. فماذا أجد فيها .. خمن ! كومة من الرسائل .. انها الرسائل التى تعترف فيها عشرون دولة بجمهورية الكونغو ولم يقرأها أحد منذ خمسة عشر يوما .. انها الفوضى أقول لك .. الفوضى ..

لومومبا : يسعدنا يا كرولار أن تكون هنا لتضع شيئا من النظام .

موكوتو : (منذمرا) وايضا ليضع انفه فى عديد من المسائل التى لا تهمه .

مبولو : حديقى رئيس الوزراء .. كلمنا حالا عن كاتنجا .. بعد انفصال كاتنجا . ربما أمكننا أن نستولى على ليوبولدفيل . ان شباب الأباكو يتقدم بل . ويتجرأ الى حد المجيء حتى تحت نوافذنا .

لومومبا : مبولو .. أى شيطان أنت يا وزير الشباب . ما الذى منعك من أن تجمع شبابك حولك ؟ شباب المنظمة الوطنية الكونغولية وعلى كل بيان تصدره الأباكو يرد ببيان مضاد من المنظمة الوطنية الكونغولية وهكذا .. فهذا ألس من شأن الحكومة .

مبولـــــو : حسن .. أيها الرئيس .. قلت أصدا ..

لومومبـــا : مبولو الشجاع (يدخل رئيس الشرطة) ها هى شرطتى .. ما هى الأخبار ؟

رئيس الشرطة : سـيدى .. مقال آخر لجبرائيل ماكوزو عن الضمير المسيحى .. تشهير بالسيد مالولا ثم أكاذيب .. وابل من الأكاذيب .

لومومبـــا : الأكاذيب .. أعرفها .. أستطيع أن أردها عن ظهر قلب .. لومومبا بـاع الكونغـو للروس .. لومومبا باع نفسـه للشيطان .. لومومبا حصل على عدة ملايين من السـفير التشيكى (متناولا الجريدة) هـذا هو الأكثر جدية (يتصفحها سريعا) أوه .. أوه .. ان السيد يهاجم هنا بعنف .. امسك يا مبولو .. أقرأ لنا بصوت مرتفع .

مبولـــــو : (يقرأ) « يحق لنا أن نشك بقوة فى الالحاد . هذا الفساد الغربى الذى جلبته الى الكونغو حكومات غير شرعية .. الويل للاعداء أينمـا كانوا الويل للسـاسونيين أمثال ماكيـا .. وايؤلاء الذين يفاخرون بالالحاد .

لومومبـــا : هيه .. حسن .. سوف يكون هنـاك أخبار عن لومومبـا .. هـؤلاء السـادة يريدون الحرب .. سوف نقاتل .. سوف نقاتل .. وسوف نرد الضربة بمثلها .. رئيس الشرطة .. اجمـع جنودك .. اقبضوا على ماكوزو .. واغلقوا جريدته .. أولا ..

ثانيـا : آمـر بأن تعطى كل السـلطات للوندولا بسبب حـالة الطوارىء فى البـلاد ليقبض الجيش على أى شـخص .. أبيض كان أو أسود يريد اثارة الشعب . أنظروا .. سيعقدون مؤتمرا فى تيزفيل .. من هنا تروى التحريض .. انهم يعدون للانفصال .. انفصال آخر .. لذلك لن يكون هناك مؤتمر .. انى أمنع عقد المؤتمر .. وعلى كل فمن الخطـأ أن يتظلم هـؤلاء السـادة .. ذلك أنهم لم يحترموا المهلة القانونية الواردة فى القـانون وهى باخطارنا قبل عقد المؤتمر بأسبوعين .. موافقون أيها السادة ؟

مبولـــو : صـديقى رئيس الوزراء .. موافقـون .. القانون يجب أن يكون القانون .. لا توجد امتيازات لأى شخص ..

لومومبـــا : بالنســبة لكاتنجـا .. اســحق على حق فى الحاحه .. تلك هى المسألة الرئيسية .. ونحن نعالجها .. سنعالج كل ما يتبقى .. ســوف التقى بهمرشولد .. ان هيئة الأمم المتحدة .. قد عهدت اليه بمساعـدتنا .. سـيكون لك طائراتك يا موكوتو .. سيكون لك طائراتك. وكما يقول اسحق فان تشـومبى لم يبق له الا أن يتلو صلاته .

(وهنا يمر لاعب السانزا .. ويغنى)

شمس وأمطـار

أمطـار تهطـل

وشمس تسطع

فيل يبدو طفلا

***

المشهد الثالث

لومومبا : سيدى السكرتير العام .. من يقول وأنا الذى دعيت هنا هيئة الأمم المتحدة .. أنا ودون كل الرؤساء .. الأول الذى يثق تمام الثقة فى هذه الهيئة .. من يقول أن الكلمات التى كنت سأوجهها اليك سوف لاتكون ثناء .. ولكن عتابا واتهامات .. ثق أننى حزين .. ولكن ليس هناك أكثر وضوحا من أنك أعطيت تفسيرات شخصية لمقترحات مجلس الأمن : البلجيكيون ما زالوا فى الكونغو .. وهيئة الأمم المتحدة تدخل فى محادثات دبلوماسية مع الخائن تشومبى .

هرشولد : أنا السكرتير العام لهيئة الأمم المتحدة .. ليس لى حديث الا مع الجمعية العمومية .. اسمح لى على كل حال بأن أبين لك أننى لم أحصل على تفويض بوضع كاتنجا فى النيران والدم .

لومومبا : لقد أوقفتم العمليات العسكرية التى كان يمكن أن تتيح لنا دخول اليزابيث فيل بدون قتال .

همرشولد : اذا كنت قد أوقفتها أو أخرتها .. فهذا لأن تقارير بانش كانت صريحة كان لابد من اخضاع اليزابيث فيل بيتا .. بيتا .

لومومبا : هيا اذن .. جماهير كاتنجا تتحمل مرغمة نير تشومبى .. كانت ستستقبلك كمنقذ لها .. ولكنك أعتقدت بوجوب التحدث الى المتمرد .

همرشولد : سيدى رئيس الوزراء .. لقد فعلت ما أملاه على ضميرى .. ان المسألة مسألة مبدأ .. ومبدئى الا تأخذ هيئة الأمم المتحدة جانبا فى صراع داخلى .. مشروع أو غير مشروع .. وأن قواتها المسلحة لايمكن أن تستخدم حتى لايجاد مخرج .. ليس لأنه لاتوجد مشكلة .. لكن هذه المشكلة .. لا أيأس من حلها .. أعتقدت أنى أحس فى الرئيس تشومبى رجلا لا تنقصه الحكمة .. أعترف بذلك وسوف أعمل على اقناعه . وفى جميع الحالات ، لقد تعذب هذا البلد بما فيه الكفاية .. ولا أريد أن أزيد من عذابه بارسال حملة عسكرية .

لومومبـــا : أعلم أنك راض عن موقفك .. لكن قل .. أى تعاسة يمكنها أن تصيب هـــذا البلد أكثر من الاستسلام لانفصـــال أغنى مناطقـــه ؟ . المقاومة الكاتنجية ؟ تشـــومبى ومزيرى يحق لهما أن يضحـــكا كثـــيرا .. فقد حجـــزا فى روديسيا ثيللا للاستجمام .. أما بانش فقد غرر به كالطفل .. خدع على الأقل وبعد كل شىء فهو أمريكى .

همرشـــولد : أن يكون بانش أمريكيا ليس له أى أهمية .. أنـــا لا أسمح لأحد بأن يشك فى شرف ونقاء مساعدى ! رجل محايد .. أنـــا نفسى محـــاط برجـــال محايدين يضعون فى الدرجة الأولى المنفعة الدولية قبل أى اعتبار .. مبتعدين عن انتمائهم الوطنى .

لومومبـــا : أنى أترك للتاريخ مهمـــة الحكم على هـــذا الموقف وأيا كان هذا الحكم .. وطالمـــا أن هيئة الأمم المتحدة تهمل التزاماتها فان حكومة جمهوريـــة الكونغو سوف تأخذ على عاتقهـــا مسئولياتها .. سوف تخضع بالقوة انفصال كاتنجا قواتنا مستعدة أن تدخل الميـــدان ..

يجب أن ينتهى هذا قبل موسم الأمطار .. أعتقد أن هيئة الأمم المتحدة لا تمانع فى اعارتنا بعض الطائرات لنقل الجنود .

هرشولد : طائرات ؟ أعتقد أنى أخبرتك بما لا يدع مجالا للشك .. أن قوات هيئة الأمم المتحدة ، هى قوات سلام وليست أبدا قوات هجومية .

لومومبا : ها هو نقاء هيئة الأمم المتحدة .. ها هم الرجال المحايدون .. الأسلحة البلجيكية والمرتزقة يتقاطرون على الكونجو .. ويهبطون الكونغو كل يوم ، وتتركونهم يهبطون .

هرشولد : أنت غير عادل .. لقد أرسلت بشأن هذا الموضوع .. مذكرة شديدة اللهجة الى حكومة بروكسل .

لومومبا : مذكرة .. نعم مذكرة .. فى انتظار الانفصال وهو يقوى كل يوم .. تحت سمع وبصر العالم .. وأنت .. ليس فقط لا تتحرك .. ولكن لا تتركنا نحن أيضا نتحرك .. عظيم .. الكونغو سيستغنى عن معاونتك : لدينا بالرغم من كل شىء بعض الأصدقاء فى العالم .. سنستغنى عن الرجال المحايدين .

هرشولد : أسمح لنفسى بأن أذكرك بأن كل مساعدة خارجية لجمهورية الكونغو لايمكن أن تتحقق الا عن طريق هيئة الأمم المتحدة .

لومومبا : الادعاء قوى ..والآن اسمح لى بدورى ان اذكرك بأن المسألة مسألة عقيدة .. وعقيدتى أن الكونغو دولة مستقلة .. وأننا لم نرفع وصاية البلجيك .. لنقع من فورنا تحت وصاية الأمم المتحدة .. وداعا سيدى السكرتير العام .. الروس سوف يعطوننى الطائرات التى يرفضون اعطائها لى . فى خلال أيام سوف تكون فى الليابيث فيل .. وبالنسبة لك ومهما يحدث أتعشم الا تدفع يوما ثمن أوهامك غاليا .

هرشولد : سيد لومومبا .. هناك شيء أدركته أخيرا .. هو أن تقول نعم للقدر مهما يكن .. لكن وطالما نحن نتبادل التمنيات .. أتعشم .. ومهما يحدث الا تدفع يوما ثمن تهورك وغرورك غاليا .. وداعا .

(وهنا يمر لاعب السانزا يغنى)

العقعق فـوق السـنبلة

ينفش ريشه مقلدا الطاووس

« تلك السنبلة ملكى » يقول العقعق

لا أريـد للشراء

بأن يكون سنبلة العقعق .

***

المشـــهد الرابـــع

(ظلام .. ثم ضوء خافت .. تصحبه ضوضاء مقلقة .. تكتشف فى جو كجو الكابوس جماعات من نساء ساحرات .. ومحاربين .. مدججين بحراب .. ونادق .. صـوت باخذ فى الارتفاع .. انه صـوت الحرب الأهلية) .

الحـــــرب : أيهـا الفتى .. أسكب الملاقو ..

ساخنـا ومتبـلا

وموحـلا حتى الشـالة

أسكب نبيذ النصر .. نشوان هو سيفى الذى أشـهره

السيف الحـاد المعلق فى المشجب

هناك .. حيث يتدلى قرن الجاموس والحربة

أيهـا الفتى أسكب الملاقو ..

عندما أكون نشوانا .. افك قومى

هناك حيث يتدلى بوق الحرب والحربة

أيها الفتيان .. سوف أحارب فى النهار

وفى المساء سـوف آكل المديح

أكرمه بغصن من الزيتون البرى
وأكسوه بالزيت فى المساء ..
المساء يستحق أن يلمع كالمرآة
أيها الفتى فى حسامى ..
الرجل الشجاع لم يولد ليموت فى فراشه
الرجل الشجاع فيل
ثعبان يزاق ..
يا ساقى الملاقو .. أسكب النبيذ فى لون دم الأعداء .

عندما يطلع النهار علينا وعلى الأعداء
سوف ننظر الى الأعداء .. وتتلاقى العيون
أيها الفتى .. أسكب الملاقو ..
نبيذا .. دم الأعداء ؟ لا أعلم .. انى نشوان
الحرية فى أيدينا .. أى‌ى ..
الحربة تضرب وفى الجرح ترقد ..
يا رأس الأعداء .. سأجرك وأطوف بك من قرية الى قرية .

***

المشـــهد الخـــامس

(كالينا ، مجلس الوزراء الكونغولى)

لومومبـــــا : أيها السادة .. لدى نبأ عظيم أعلنه عليكم .. أستونيه على باكوانجـا .. وهرب كانونجى الخـائن .

كـــــالا : وأسفاه .. نصر من الممكن أن يكلفنا أكثر من الهزيمـة .

أحد الوزراء : انى أفهمك .. وأشاركك مشـاعرك .. يجب الاعتراف بأن المنظمـة الوطنيـة الافريقيـة كانت قاسية . ستة آلاف من البالوبامس قتلوا وأبيدت أربعون أسرة فى كنيسـة سان جـان باكوانجا تحت ظروف فى منتهى القسوة .. بل نستطيع القول بأنها سادية ..

الوزير الثانى : لابد من استدعاء الجيش ..

الوزير الثالث : لقـد أهانتنـا المنظمـة الوطنيـة الافريقيـة أمام العالم .

لومومبـــا : مساكين هم البالوبامس .. ذبحهم الأهـل فى

كازاى .. أبادتهم قوات الحملة العسكرية هى ليست أبدا معركة بالورق .

كـــالا : هذا لا يمنعنا من أننا فى ورطة .. فالصحافة العالمية والبلجيكية بصفة خاصة ثائرة ضدنا .. أما بالنسبة لهرشولد فهو يوجه اللوم لهيئة الأمم المتحدة ويتهمنا بالتخريب .

لومومبـــا : هذا صعب جدا .. وأين كان مستر هرشولد عندما كان البلجيك يذبحون رجالنا .. ويغتصبون نساءنا .. والآن نحن المتوحشون ..

البلجيك .. آه .. حسن .. ومن الذى أثار البوليامس ضد البالوبامس ؟ ومن الذى أقنع البالوبامس بأن اللوليامس لا يسعون الا للقضاء عليهم . من الذى أثار القائد كالامبا مانجول .. وشجعه على اعلان مولد مملكة لوليادبة . حيث يهرب أهالى البالوماس من ضغط السلطات اللولاوية ؟ ما الذى أقنعهم بأن وجود بعضهم كان مستحيلا مع البعض الآخر ؟ ١٩٥٩ .. هيه هل تتذكرون .. لما تقاتل البالوبامس واللوليامس تحت أعين

الشرطة البلجيكية المتحجرة .. وأين كان لومومبا .. في السجن .. أما الصحافة العالمية .. المسيحية .. فيالها من خراج قديم كالضمير العالمي يغطي صديده القذر سربا من الذباب .. كلا لكن هل تعتقدون أني خوفا من صرختهم الهيستيرية .. سوف أتركهم ينهشون الكونغو كما ينهش العصفور القناص حبة المانجو قطعة قطعة .. أيها السادة .. أني أدينكم (يضحك) أدين المجلس كله .. أدينكم جميعا .. جميعا .. عدالتكم .. أخلاقكم .. قوانينكم .. نعم أيها السادة الوزراء .. فلنبتهج جميعا .. أريد أن يشرب اليوم كل كونغولي كأسا من البيرة ليحتفل باستيلائنا على باكوانجا .. هذا المساء .. سأتحدث من الراديو احتفالا باستعادة باكوانجا .. الليلة أريد أن أرقص .. احتفالا باستعادة باكوانجا .. مبولو .. سنذهب هذه الليلة الى بار الأيليت .. كلا .. عند كاسيان .. كنت أعرف فتاة من لولوا

أجملهن .. اسمها هيلين بيجو . أسير على مسمى .. فهي جوهرة حقيقية تلك المرأة .. أخبرها .. الليلة سأرقص معها .. مع فتاة من لولوا .. أمام العالم أجمع ..

أما بالنسبة لكم يا سادة المصير العالمي .. فإن المرقص سيزداد نورا بإضاءاتكم .

***

المشهد السادس

(بار « كاسيان » لومومبا وشيلين بيجو يرقصان فى ظل وردى اخضر) .

هيلين : أرقص فى ظلال الكهوف
على أشواك المنفى فوق لهيب الدماء
الغزيرة .. كدماء الأفاعى

لومومبا : أراقص التصاق الانسان بلعابه المنح .. الانسان وحده فى أعماق ذاته يثبت أن لحمه الفانى لا طعم له

هيلين : أراقص الزهرة المتفتحة التى تدور حول الشمس .. لم تمس كل رمش كأنه انجم البنفسجى البراق

لومومبا : أراقص على السفينة التى تسيطر من مرساها الحربى على مخاوف الرغبة .. كالطائر الغرير وغروره

هيلين : أراقص النشوة فى أشعة الشمس
فى الندى وهو يزرع

ضحكاته البيضاء، والشاحبة في جسد
البحر المتوهج

لومومبا : أراقص الحشرة التي تفوق كل الأسماء روعة
والتي تفرز جهدا نشوانا في
عناقيد الفاكهة الناضجة كأنها حلى من زجاج
ملون

هيلين : ها هي رقصتنا الراقصة
واللحن الذي يضم انغامه
كالزهرة المتفتحة .. فخوره
يتحمل ما لا يحتمل ..
الظلام .. التوهج .. والقيد .

لومومبا : حسن يا بيجو .. اني أرقص رقصة
حياتي ..
عندما أنتهي .. يا بيجو
عندما أشحب كالشهب العمياء
في السماء المظلمة
عندما لا تعد الكونغو غير فصل يتبله
الدم

فصـــل يحافظ على جماله
لا يحتفظ من الزمن المخيف
الا ببعض القطرات الوردية التى تعيد
الحيـــاة
الى عصفور وليد يحتمى
بعضه الصغير من العاصفة
هيا بنا يا صديقتى .. لنكف عن الأحزان
ونرقص حتى مطلع الفجر
ولأمنح قلبى الحيـــاة
حتى أعمـــاق الليـــل .

***

المشـــهد الســـابع

(قصر الرئاســـة ، جنـــاح كالا)

كـــــالا : يا لها من دماء .. يا لها من أهوال .. قبـــائل اللوليامس تقتل قبائل البالوماميس .. قبائل البالوباميس تبيد قبائل اللولباميس .. وقواتنا .. القـــوات الكونغوليـــة الوطنيـــة .. تســـحق الجميـــع ..

أوه .. الحرب .. الحرب

بالتأكيد أعطيت موافقتي .. لكن هل تعتقدون أنه من السهل أن تقول لا لهذا الشيطان القبيح .. على كل هو الذي قرر .. ومن الطبيعي أن يتحمل قراراته .. ثم هناك سلوكه ..

نتيجـــة هـــذا الحادث مع جنود هيئـــة الأمم المتحدة .. أراد بانش أن يحدثه . فأحاله الى موظف صغير .. كان طبيعيا أن ينتهي بانش بالفشل .. عندما قلت له .. « انهم لا يطلعونني على شيء » .

وهذا حقيقي .. أعتقد أنني رجل يلعب بالورق؟

الحق أنه غريب . سوف يباغتنى دائما .. دائما يبدو رقيقا .. انى أتذكر كلماته .. عندما تركنى ليذهب الى نيويورك « أيها الرئيس أترك لك قلبى » .

وهذا شيء لا يخترع « أترك لك قلبى » انها كلمات صادقة حقيقية تصدر من القلب .. آه .. شيطان فى صورة انسان ..

أكثر ما آخذه عليه .. ربما كان هذا الطيش .. والهياج ، والتحريض انه شعلة تجرى .. تنطلق ..

عصفور يحارب برأسه باحثا عمن يهاجمه أجدادنا كانوا محقين .. القائد الحقيقى لايثور أبدا .. يبقى .. حيث يكون مركز الوجود .. مركز الدولة .. انه يشع حيث يكون

أما هذا .. فمتسلط .. لكنه لا يشع .. يشعل .. يوقد النار ..

كنتو .. كنتو ..

آه ، ذلك أنه كان سيقلبنى رأسا على عقب لو تركته يفعل .. والنار فى الكونغو .. النار فى العالم .. ولكنى هنا .. ولن أتركه يفعل

أبدا أنـا هنا لكي أنقذ الكونغو وأنقذه من نفسه .

مهلا يا سيدى باتريس .. مهلا .. كالا العجوز هنا .. هنا .. بحق الشيطان .. نعم .. أنـا هنا .. ولزمن طويل .. يسمونني الكهل .. أنـا لست كهلا .. أنـا متمهل .. يقولون مليء بالدهاء كالسلحفاة .. والأجدر أن يقولوا مليء بالذكاء . أمضي على مهل .. على مهل .. كوكوتوبويم ! وكوكوتوبـويم .. أما هـو فعنيف .. متسلط ! أنـا لا أحب المتجبرين .. حتى و كانـوا على حـق .. انهم يسببون الدوار .. ثم ان آجلا أو عاجلا يلهثون لكن كفانا أوهاما .. على أن أواجه هذا الحديث . فى الواقع .. لا أرى لمـاذا يتكالبون جميعا عليه ؟ لكنهم على من لم يتكالبوا ؟ آه .. العالم يسود الآن .. ألم يشيعوا أن باتريس يسجنني من أنفي .. وأنى خنت الباكونجـو بقبولى رئاسة الجمهورية .. جرؤا على كتابة كالا امرأة أمام لومومبا « كالا امرأة للومومبا » . يا لها من حماقة .. من غباء .. فالرئيس هو القائد .. وهو الملك .. فضـلا عن ذلك يمكننى عزله

عندما أريد .. وكد أريد .. ان الدستور يمنحنى السلطة فى ذلك .. الرئيس هو الذى يقرر .. والوزراء ينفذون .. من الواضح أننى لم أستخدم هذه السلطة .. باتريس منفتح .. نشط .. شعبى .. نعم هو كذلك .. أنه شعبى .. لقد أحسن وصفه .. انه شعبى .. والشعبية قوة .. ويجب أن آخذ حذرى .. لكن لماذا بحق الشيطان يتكالبون جميعا ضده .

اسمعوا .. آخر شائعاتهم : باتريس شيوعى وأنا بالعمل على حمايته أدخل فى لعبة الشيوعية الدولية .

هذا يضحكنى .. باتريس شيوعى .. أنى أتذكر حديثه فى أشد أزماتنا مع البلجيك . فى وقت الاضطرابات .. طلبت منه أن يرسل برقية الى خروشوف .. هل تعلمون بماذا أجابنى ؟ هذا مستحيل .. سيدى الرئيس لقد قالوا أنى بعت نفسى للشيوعيين .. اذا فعلت ذلك سيضاف دليل آخر .. اننى أصبحت ضمن رصيد الكرملين . ..أنت أيها المسيحى : أفعل

ذلك اذا أردت .. وسيقولون أيضا أننى دفعتك الى هذا » .

هيه .. تعتقدون أنه دفعنى .. سيصبح قويا .. قويا .. حقا .. فى الأسبوع الماضى صرح لى السفير الأمريكى بقوله : « اذا دخل لومومبا اجتماع بعض السياسيين الكونجوليين .. وعلى يديه صينية كأحد الجرسونات ، فسوف يخرج رئيسا للمجلس » .

ولكن هل تعتقدون أن لاشىء أسهل من تحريك العجوز كالا .. لا بأس سوف أتحدث الى مالولا .. سيدى له رأى سديد .. سأطلب من موكوتو أن يصحبنى .. أنا أيضا كان يمكن أن أكون مطرانا .. تصوروا .. لقد كنا زميلين فى الدير .. كانت ستقل متاعبى .. لكن المرء لا يختار قدره .. الهى .. الهى أوه .. تلك الرئاسة ..

أخيرا سأوجه هذا الحديث .. هيا يا كالا .. مجهود بسيط مجهود بسيط ..

(ينهمك فى العمل .. وهنا يغنى لاعب السانز)

أفكار كالبرق

أرى الضفدع ينقنق

حية على فرعهـا

تنتظر وتلعق بلسانها .

***

المشـــهد الثـــامن

(جناح آل لوموميا ، لوموميا وزوجته)

بولـــــين : لوموميا باتريس .. انى خائفة .. يا ألهى ، يا ألهى .. أشعر فى الظلام بتلك النوبات من الكراهيـــة .. وأرى فى كل مكان ديدان ، ضفادع عناكب ، كل هـــذه الحيوانات القبيحة فى خدمة الحاسدين ، يخيل الى يا باتريس أن كل خيوط مؤامراتهم القذرة تحاصرك وتطبق عليك .. |

لوموميـــا : لمـــاذا تشعرين بالخوف ؟ حقا لى أعداء لكن الشعب لى .. الشعب هو ملاكى الحارس .. ليس لى الا أن أحـــدثه ، انـــه ينهضنـــى ، ويتبعنى .. اننـــا فى ثـــورة يا بولين .. وفى الثورة الشعب هو الأساس .

بولـــــين : الشعب .. نعم .. لكنـــه ضعيف .. الشعب مجرد من السلاح ، الشعب سريع الانقياد .. وأعـــداؤك أقويـــاء .. مثابرون .. ماكرون يساندهم العالم أجمع .

لومومبـــا : لا يجب أن نبالغ .. لى أيضا أصـــدقاء .. أصدقاء أوفيـــاء .. اننا صحبة كما يقول المثل « نحن كشعر الكلب .. ننام جميعا على نفس الفراش » ..

بولـــــين : أوه .. حدثنى عن الصحبة .. أرى العشرات يدينون لك بالكثـير .. ويلتفون حولك .. ويقتدونك .. لكن بعضهم قد يبيعك من أجل طبق عدس .. انى أشعر بهذا .

لومومبـــا : أوه .. الفساد .. يستطعن أن يكن سيئات .. دائما يتوقعن السوء ..

بولـــــين : والرجـــال .. وأنت مصـــداق .. واثق .. أنت مثل يا باتريس .. أنـا لا أثق أبدا فى موكوتو . أنت تعرف جيدا أنه كان مرشـــدا أيام البلجيك ..

لومومبـــا : أعرف .. أعـرف .. يا بولين .. ولكنـــك تعرفين أيضا الظروف التى كان يعيش فيها .. الآن .. كثيرون لم يكن لديهم الاختيار الا بين أن يموتوا جـوعا هم وأولادهـــم .. أو أن يكونوا جواسيسا .. ليس هذا مشرفا ولاشك

ليس هذا مشرفا .. لا يمنع أن يوجد بين هؤلاء المحظين رجال يمكن استعادتهم .. وموكونو من هؤلاء .. انه متفتح .. رقيق .. قليل المزايا .. لكنه يعترف دائما بالثقة التي أوليه اياها .. فثقتي به تساعده على أن يعود الى الطريق السوى .. انى أتكلم عن وفائه .

بولين : ليستجيب لك الله .. يا باتريس ليستجيب لك الله .

لومومبو : كلا .. انه لا يستطيع شيئا ضدى .. اطمئنى يا بولين انهم لا يستطيعون شيئا ضدى طالما ان كالا وأنا متحدان ونحن بالفعل متحدان .

بولين : هل أنت متأكد يا باتريس ؟ رأيى أنه يحسدك .

باتريس : أكررها لك .. أبدا .. لم تكن وحدة الرأى كاملة بين كالا وبينى .. له عيوبه .. ولاشك .. لكنه وطنى .. انه قائد قوم أقوياء .. قوم أجلاء هؤلاء الباكانجو .. لقد قيلت هذه الحكمة من أجلهم « عندما يرى منقار الديك يرى الديك كله » .

بولـــين : لست أدري .. هناك عدد من الناس يحاولون تشويهك .. مونتو ، عامض .. ماتر .. على أي حال .. كن على حذر .. فهو طامع على عرشه .. شرس ، متصلب كأنه من النحاس .. هـذا المتصلب المخيف يبدو أن لا هم له في هـذا الوقت إلا التمسك بصولجانه . لكني أعتقد أنه قادر في المستقبل .. وبدون صيحة حذر على أن يتركك تسقط فوق رأسك كالدبوس .

لومومبـــا : وتتصـــورين أني أترك نفسي أســحق بهـذا الشكل . وتتصورين أنني لا أملك وسائل .. ولا أصدقاء .. ولكن لنترك هذا يا بولين . أحضري جيتاري .. أشعر بارهاق (تناوله الآلة) لا أعرف لمـاذا .. ما يجيش في صدري هو هذا الاحساس بالحزن . تعرفين يا بولين تلك الأغنية السواحيلية .

(الأصـوات تخفت ببطء ، بينما يغني على الجيتـار)

هـل تعتمـد
حتى بأصبعـك
على شجرة تنمو

لومومبـــا : آف .. لم هو مرهق هـذا الاستقلال (يغفو ثم يستيقظ مرتجفا) (كبوس : يظهر فى مقدمة المشهد فس . كالا . وموكوتو . كالا وموكوتو يركعان على الأرض) .

القســـس : أبنائى .. حـان الوقت لكى تظهروا حبـكم للكنيسة . وان تضعوا أعداء ديننا المقدس فى الطريق القويم .. انـت تثق بكم .. باسـم الأب والابن والروح والقدس آمين ..

بولـــين : باتريس المسكين . هيا استيقظ . لقد حانت ساعة الأخبار .

(تدير مؤشر الراديو فنسمع تسجيل حديث لكالا لوبو)

كـــالا : مواطنى الاعزاء .. عندى نبأ فى غاية الأهمية.. أعلنه عليكم .. الحاكم الأول..آسف..أريد أن أقول رئيس الوزراء .. الذى عينه ملك البلجيك .. طبقا لأحكام الدستور المؤقت .. قد خان المهمـة التى وكلت اليه . لجـأ الى

وسائل استبدادية .. حرضت على انشقاق الحكومة والشعب .. حكم باستبداد . سلب كثيرا من المواطنين حرياتهم المشروعة . الآن هو فى الطريق أيضا الى أن يزج بالبلاد فى حرب أهلية طاحنة . لهذا رأيت من الضرورى عزل الحكومة على الفور .. انى أفعل ذلك بناء على السلطات الدستورية التى منحت لى . عينت جوزيف اليو رئيسا للوزراء السيد اليو مكلف بتكوين الحكومة الجديدة . وآخذ على عاتقى شخصيا من الآن سلطة الاشراف على الجيش الوطنى .

لحفظ رب الكون .. .

***

المشهد التاسع

(قصر لومومبا ، يحاصره أتباع موكوتو)

لومومبـــا : شكرا لمجيئك .. شـــكرا لمشاركتك تفكيرى وحقى فى التفسير .

موكوتـــو : أعجب من الرغبة فى تفســير ما هو واضح .. حرب أهلية .. حرب أجنبية . فوضى .. كنت أرى أنك تكلف الكونغو غاليا .. يا باتريس ..

لومومبـــا : هل أنت صادق ؟ هل تعتقد حقا أنك ستنقذ الكونغـــو ؟ أم لم يتبـــادر الى ذهنـــك أنك بتقويض أوضاعهـــا . وبابطـــال القانون . فى الوقت الذى تتحول فيه البـــلاد الى دولـــة . تدفع بها الى الخطر المبيت ..

موكوتـــو : من المؤكـــد أنه فى امكانـــك .. بتنحيـــك طواعية .. أن تيسر لنا المهمة . ولكن هنـــاك أشياء .. لايمكن أن تنتظرها من سياسى .. سأقصـــيك اذن .. لقد قررت حرمانـــك من السلطة .

لومومبـــا : معـذرة .. فى السياســة .. عندما أســمع مصطلحا من هــذه المصطلحات الرنانة أحدد رأيحث دائما عن رذيلة ما تختبؤها .. الى أين تريد بصراحة ان تصل ؟

موكوتـــو : رئيس الجمهوريــة يعزل بكل بساطة رئيس الوزراء .. رئيس الوزراء يرد بسرعــة عازلا رئيس الجمهورية . أنــا أعزلهما معا .. وأريح السياسيين ..

لومومبـــا : باختصار .. تتولى السلطة . وبعد كل شيء لن تكون أول كولونيل يعمل على قلب نظــام الحكم .. لكن أحذر يا موكوتو .. كلا لن يعتقد أى شاهر سيف .. أو حامل شرائط .. أو حامل عصى ان له حق فى السلطة وأنه سوف يصنع من الوطن أمة .. سوق لصــوص .. أهل أنت مستعد لتحمل أعباء تلك المسئولية .

موكوتـــو . لا أسمح لأى شخص بأن يضع نزاهتى موضع شك .. جندى أنــا .. وسأبقى جنديا .. سآوكل السلطة لجماعة من الوكلاء .. حتى يستتب النظام .. ومن جهــة أخرى سأصدر

أمرا الى الجيش بأن يوقف اى تقدم نحو الكاساى ويعود الى تكناته . يكفى ما لدينا من عمل فى ليوبولد فيل .

لومومبا : موكوتو .. أنا استرجع صداقتنا .. وكفاحنا المشترك .. ولكن ..

موكوتو : أود .. تحدثنى عن الماضى .. حقا .. لقد ساعدتك على الخروج من السجن .. كنت الى جانبك فى اجتماع المائدة المستديرة فى بروكسل .. ليل .. نهار .. كنت أعبىء الرأى العام الشعبى لصالحك .. خمس سنوات من الصداقة .. والأخوة .. ولكن الآن طريقنا مختلف .. ما أسميه « تنحيك » يعنى وبدون أن نضحى بصداقتنا .. الا تسمعنى من أن أكمل واجبى كوطنى ومواطن كونغولى » .

لومومبا : انك على حق .. فالوقت ليس للعواطف المندفعة . أنا بالنسبة لكلمة تنحى فانى أعرفها أكثر منك على أى حال .. وأقدر أكثر منك معناها ومرماها .. أتفكر فى افريقيا أحيانا .. حسن .. أنظر هنا .. فلسنا فى حاجة الى

خريطة معلقة على الحائط . أنها منقوشة على راحة يدى .

هنا .. روديسيا الشمالية .. قلبها الكوبوبلت .. الحزام النحاسى .. أرض صامتة .. فيما عدا تحالف رؤساء العمال .. ونباح كلب بوليس .. وصوت عيار نارى .. انه زنجى يقتل ويسقط دون أن يتفوه بكلمة واحدة .

أنظر الى الجنوب .. روديسيا الجنوبية .. أريد أن أقول ملايين من الزنوج المغتصبين .. المسلوبين .. المحاصرين فى المدن .. هنا .. أنجولا .. أهم الصادرات .. ليس السكر .. وليس البن .. ولكن العبيد .. نعم أيها الكولونيل .. العبيد . مائتا ألف رجل يدفعون كل عام الى مناجم جنوب افريقيا مقابل مال وفير يسقط باستمرار فى خزائن باباسالازار الخاوية. معلقة كالخرق البالية .. تلك الجزيرة .. تلك الصخرة .. أعنى سان توميه التى تستوعب برغم صغرها الزنوج المعدمين بالآلاف .. بالملايين .. انه سجن افريقيا (يغنى)

اننا الشانى

بعثوا به الى سان توميه

لأنه لم يكن يحمل أوراقا
ابننا لم يعد .. ابننا
اختطفه الموت .. ابننا
بعثوا به الى سان توميه

يا للسخرية .. تلك الأغنية الا تعرفها ؟ سوف أعلمك اياها يا موكوتو .. اذا منحتنى الوقت .. أخيرا .. فى الأسفل جنوب افريقيا .. المعتقل العنصرى المسلح بدباباتهم .. ورشاشاتهم .. ومدافعهم .. وطائراتهم .. وكتابهم المقدس .. وقوانينهم .. ومحاكمهم وصحافتهم .. وكراهيتهم .. وأكاذيبهم بالاضافة الى قلبهم القاسى المتوحش . ها هى افريقيا يا موكوتو .. متربة ، مقيدة .. مسحوقة .. مهمومة .. لكن هل تقول لى انها تأمل .. انها تتعذب لكنها تأمل .. هذا صحيح .. ذلك أنها من قلب سجنها ترى رقعة الضوء تكبر وتكبر تتقد وتتحرق شوقا الى الفضاء .. كالغاطس فى أعماق البحار .. انها تأمل ولم لا .. كانت هناك غانا .. وغينيا .. والسنجال .. ومالى .. وداهومى ،

والكاميرون .. ثم الكونغو .. وهكذا تقول افريقيا السجينة لنفسها : « ان دورى غدا . وغدا ليس ببعيد .. وتضم قبضتها .. وتتنفس بعمق هواء الغد .. الهواء الطلق . نقيا صالحا .. هل تعلم يا موكوتو .. ما أنت مقدم عليه ؟ انك تسدل ستار الظلام على مربع الضوء الصغير فى أعلى زنزانة السجين .. انك تصرع بضربة عصا واحدة عصفور قوس قزح الكبير الذى يحلق فوق سقف المائة وخمسين مليون رجل .. والثعبان المزدوج . الذى يرتفع فى أرجاء الأفق ويصر على الحصول على وعد بالحياة شهادة من الحياة ومن السماء .. وترى القارة بأسرها تكسوها سبقات كثيفة من الظلام الموحش .

موكونو : لن أتبعك فى رواياتك المقدسة .. ليس لى أن أبى نداء افريقيا .. ولكن الكونغو فقط .. وأعمل على أن يسود النظام .. هل تفهم .. النظام .

(يكون الجنود قد دخلوا وشغلوا كل المسرح)

* * *

دائما وفى كل البلاد .. بوحدة الكونغو .. لكنها لن تكون رغم هذا سياسة انتقامية .. انى أهدف فضلا عن ذلك الى انهاء عصر حروبنا الأهلية وبناء جمهوريتنا بشرف واخلاص .. أما على الصعيد الدولى .. فانى أعتمد عليكم .. أيها السادة .. فى اقناء الرأى العام العالمى ، ان حكومتى موافقة على مبدأ الحياد الايجابى وسوف يكون شاغلها الأكبر الاهتمام باقامة وتدعيم أواصر الود والصداقة مع جميع الدول الأجنبية .. لكن يجب أيضا أن نضع فى الاعتبار أن الكونغو بلد مستقل .. يريد أن يظل مستقلا .. متمتعا بالاستقلال والسيادة وأن تنتهى الفكرة السائدة التى تقول بأن الثمرة الفجة . ما أن تقطف تلتهم .

أحد الصحفيين : يا سيدى لومومبا .. لدينا الرغبة فى الاستماع الى خطاب تنصيب رئيس الوزراء .. لكن الأحداث التى تجرى حولنا .. تدعونا لمعرفة ما اذا كانت هذه النوايا تتفق ورؤيتكم الواقعية العادلة وموقفكم الشخصى .. وموقفكم الحالى من سياسة الكونغو .

عذرا يا بولين .. اذهبي الى براز ا .. اسعى لرؤية لوى .. وضعيه فى مجرى الأحداث .. سوف أتحدث الى الصحفيين .

(تخرج بولين لومومبا ببطء وتغنى)

آه .. آه .. من رأى زوجى ؟

الم ير أحدا زوجى .. لقد دخلت قلبى شظية من البامبو

(يدخل الصحفيون)

لومومبا : اجلسوا أيها السادة .. كيفما شئتم .. عذرا للمكان .. مكان شعبى .. مكان متواضع يدق فيه قلب الكونغو على طريقته .. أعنى أكثر قوة وصدقا مما لو كان فى كل قصور الوزارة أو الرئاسة .. لقد دعوتكم هنا لأعلن عليكم .. لكى تعلنوا على العالم بدوركم .. أن الكونغو مستمر . انى أعود بطريقة مطلقة الى ادارة الأمور .. والتى استطاع حادث مدبر انقلاب عارض أن يبعدنى عنها . ان سياستى .. سياسة حكومتى ، الحكومة الشرعية الوحيدة .. سوف تعمل دائما فى كل النواحى على تقوية سلطة الأمة فى الاحتفاظ

أنت الكأس وشربت جرعة .. ثم ناولتنى الكأس .. فشربت جرعة وشربنا معا .. جرعة بعد الأخرى .. لا أحمل اسم بلد أو نهر .. لكن اسم امرأة .. بولين .. فقط .. لن أضيف شيئا غير هذا .. أتريد أن يرانى الناس يوما .. حليقة الرأس .. فى موكب جنائزى ؟ والأطفال نجعلهم أيتاما ..

لومومبا : لكن .. كنت دائما بينى وبين نفسى أطلق عليك بولين الكونغو .. ان لم أكن قد أطلقت فكرة متوهجة عن اسمك المزدوج دون أن تكونى قد ساعدتنى مساعدة فعالة على مقاومة ضعف شديد يعترينى .. فانى مستعد لأن أقاوم العالم أجمع .. نعم يا بولين .. أعرف أنه يمكننى الاعتماد عليك . فاذا اختفيت سوف أترك للأطفال ميراثا معركة طويلة .. سوف تعاونهم .. سوف ترشدهم .. سوف تسلحهم .. لكن لا .. سوف أستمر فى المعركة أنا بنفسى .. وطويلا .. وسوف أقودها الى نهاية ظلمة .. أما السادة المستعمرين فلن ينالوا منى قريبا ..

لومومبـــا : ستاتلى فيل ؟ أنـا .. الذى يقاوم الانفصال .. هل أستطيع .. لكى أحمى نفسى من ضربات أعدائى .. أن أنظم .. بدورى .. انفصـالا آخر ، لا أريد أن أهرب أهاجر .. لا يوجد هنـا ما نخشـاه .. .. لقد فهم أعـدائى الدرس .. وبدونى يصـبح الكونغو آلـة معطلة .

بولـــين : كنت دائما .. عندما قوى الشكيمة .. صلب الرأس .. صلب الرأس فعـلا لكن هل هو مجتمعى .. انى أخاطبك يا باتريس .. وعيناك تنظران الى أعلى .

لومومبـــا : أعلى .. أسفل .. لا أعلم .. الاثنـان .. بدون شك .. الى أعلى أشاهد افريقيا .. وفى الداخـل تتزوج الكونغو بصـوت دمـائى المكتوم .

بولـــين : أعد الى هذه العدالة .. فأنا لن أجعلك أبدا تحيد عن واجبك .. لكن هل أنت مسئول عن افريقيا فقط .. مسـئول فقط عن سـعادة افريقيا ، نحسها ؟ هل تذكر هذا اليوم وحده يا باتريس ؟ الأب صب الملافـو .. أخـذت

لكم .. ومن أجل هـذا .. فهو يستحق أن تحدوه .. ولكن ليس من الله وحده حرمت افريقيـا .. فمنها .. من نفسـها .. حرمت افريقيا .. ففيها .. فى افريقيا نفسها .. ضاعت افريقيا .. لهذا لا أريد أن أكون مسيحا .. ولا نبيا .. ليس لدى سلاح غير كلماتى .. أتكلم .. وأوقظ .. لست مقوم أخطاء .. ولا صانع معجزات .. أنـا مقوم حياة .. أتكلم .. وأعيد افريقيا الى نفسها .. أتكلم وأعيد افريقيا الى العالم .. أتكلم .. أهاجم أساسها .. القيد والعبودية .. وأجعل الاخاء ممكنا لأول مرة .

(حيرة تسيطر على الجميع .. تدخل بولين : هى ولومومبا تتعانقان)

بولـــين : ألمى .. كم أنـا سـعيدة .. لكم أتتـابنى الخوف .. انهم حيوانات هل تعلم ؟ يمكن أن تتوقع منهم أى شيء .. أخيرا .. أنت هنا .. حر طليق .. لكن يجب أن نرحل .. فلست آمنا هنا فى ليو .. لقد أعددت كل شيء .. فى ستانلى فيل .. ينتظرك أتباعك .

أحد الرجال : انك على حق .. قادة وملوك .. لقد خدعونا جميعا .. أنت أفضل منهم .. أنت رائدنا الملهم .. مسيحنا .. المجد لله .. أبائى .. سيمون كيبانجو بيننا من جديد ..

(الحشد يغنى)

نحن الأبناء اليتامى
لبلنا حالك .. طريقنا شائك
الهنا القادر .. أين نجد العون ؟
آمانا الكونغو .. من هو المعين ؟

(يقدم الرجل للومومبا قطعة من قماش .. يدفعها لومومبا بيده)

لومومبا : وماذا أفعل أكثر من أن أبسط لك يدى ؟ بكل قواى .. فوق قواى .. وأكثر من أننى لم أرتد جلد الفهد ؛ لن أرتدى الوشاح .. هل لى أن أخيب ظنك .. أنا لست سيمون كيبانجو .. لقد أراد أن يرد اليكم القوة تحولو الكونجولى .. ولهذا فهو يستحق أن تخلدوا ذكراه .. لقد أراد أن يذهب الى الله وحده .. يتوسل الى الله وحده .. كسفير

بدورها وحافظنا فيما بيننا على الازدهار ..
هل تسمعون .. جميعا أعدة الازدهار للبلاد
وسنحافظ عليه .. ماما ماكوزى .. أريد أن
يشرب كل الناس هنا نخب عودة الازدهار ..
عودة الازدهـار بيننا .. لكن حتى لا نكون
أنانيين .. أريد أن أبلغ هذا النبـأ السار الى
أصدقائنا فى العالم أجمع .. ادعوا الصحفيين
الى الاجتماع .

أحد الرجال : لقد دعوت الصحفيين .. فليأتوا .. انه نرغب
فى ذلك .. لكن يجب أن يعلموا أنك مليكنا ..
مليكنا الشرعى .. مرتديا جلد الفهد ..

الحشـــــد : نعم .. نعم .. جلد الفهد ..

لومومبـــا : عذرا .. أيها الأصدقاء .. ففى أحد الأيـام
التقيت بروحى الشريرة وسط الغابة كانت على
شكل عصفور ..

وافضـــل من جلد الفهـــد .. ذلك المتحضر
المندفع .. جلد ساثر اتخذ منه شـعارى ..
العين والمنقـــار .. ولكى ندخـــل العصر
الحديث .. نتخذ شعارا قدم ايبيس الذهبية .

فى أن أتحدى العالم بأجمعه .. ماذا أحكى..
فى الواقع ، تفاصيل ، لماذا التفاصيل ، عندى
ما هو أجدى أحكيه لكم .. أحكى لكم عن
افريقيا .. نعم .. افريقيا .. عيونها ..
صهرها .. خصرها .. اوروبا ، أنيابك ..
أميريكا ، منقارك .. آسيا .. آسيا .. آه ..
هذه المصارعة من أراس حتى الروث .. افريقيا
كالرجل الذى يستيقظ فى منتصف النهار ،
فيكتشف أنه محاصر من أركان الدنيا
الأربعة .

أرى افريقيا تهاجمها الطيور الجارحة من كل
الجوانب .. وما أن تتخلص من واحد ، حتى
ينقض عليها الآخر ، وينهش فيها بمنقاره ،
شىء آخر .. الكونجو .. شىء شبيه
برقصة الموكونغو ذات الاثنى عشر قناعا ، كل
منها تملك الثروة .. والجمال والأمان والتأمين
الصحى ، ثم اشتعلت الغيرة .. ثم سلبتنا
روح الشر بسطوتها كل شىء .. أذبلت خدود
عذارانا ، وأوهنت عزائم محاربينا .. وجلبت
الفساد والشقاق .. أوه .. كان شيئا مخيفا..
وأخيرا .. بفضل الله .. انهزمت روح البشر

أجعل من هذا المكان مركزا للقيادة .

ماما ماكوزى : انت شئ حق .. لقد خانوك .. جميعا .. كلا .. موكوتو .. صديقك موكوتو .. أراه هذا الشخص .. بتصرفاته التى تشبه تصرفات فتاة سيئة السمعة .. هنا .. انت مطمئن .. فالبيت بيتك .. والشعب يحميك .

لومومبا : أعدروني مقدما .. لكنى اخشى ان اغير أى حد ما من عداتكم ..

ماما ماكوزى : بدلا من الأعتذار ..احكى لنا..يا باتريس.. احكى عما فعلوه بك هؤلاء الخونة ..

النساء : أوه .. نعم .. أحكى ..

(لاعب السانزا يغنى)

نواة .. نواة ..
نواة .. شجرة واحدة ..
زيتها يكفى
لملىء الاناء ..

لومومبا : شكرا لك أيها المغنى الشجاع .. من بين عشرات المنافقين استطعت .. اذا كنت فى حاجة الى ذلك .. أن تصعد شجاعتى وتؤكد قوتى

المشـــهد الثـــانى

(بار افريقى . رجال ونساء .. نفس جو المشهد الاول من الفصل الاول ... امرأة تردد لحنا) .

من رأى زوجى ؟
ألم ير أحد زوجى
لقد دخلت قلبى
شظية من البامبو

(يفتح فجأة الباب . يدخل لومومب ومبونو وأوكيتو)

ماما ماكوزى : باتريس .. أنت هنا ..

لومومبـــا : كمـا تريـنـه ..

ماما ماكوزى : كنت واثقة أنك ستخرج من هناك ..

لومومبـــا : جميل .. أيتها الأم . أنك لم تشك فى ذلك مطلقـا .. فهناك الكثيرون مما قـدروا رأس لومومبا بثمن بخس .. نعم .. حر .. مطلق السراح بفضل جنود الكونغو الشجعان قولى لزوجى وأولادى .. أن يحضروا .. سوف

الساعة التى يبدو فيها الكونغو كعنزة بين أنياب الذئب .. أيها الجنود .. أنا .. لومومبا .. اذا ثرت أو انحنيت .. فذلك لأجل تخليص الكونغو من بين الأنياب والمخالب ؟ ألن تعاونونى فى ذلك ؟

(الجنود يصيحون)

الجنود : تستطيع أن تعتمد علينا .. أنت قائدنا .. فلنخلص موكوتو ..

(يفتح الجنود أبواب السجن ويحملون لومومبا منتصرا)

***

من الدفاع حتى البراكين .. طبقة من الكلاب المتوحشة المفترسة .. طبقة من الكولونيلات والسادة . تلك الطبقة التى احتفظت لنفسها ولمصالحها فقط بالفرص التى كنتم تنتظرونها من ثورتنا الكونغولية ..

جنـــــدى : لقد ضقنا ذرعا بموكوتو .. فليرحل من هنا .. نريد أن نرى ما اذا كانت بطولتنا ستتلىء معك ..

جندى ثان : : يعيش لومومبا .. هذا الانسان .. الذى يتكلم فيبدو كالطاووس المتوج .

جنـــــود : يسقط موكوتو .. يسقط موكوتو ..

جنـــــدى : ذلك الشخص .. اذا أمسكت به .. أخصيته ..

لومومبـــا : انى أحترم آراءكم .. ولا أريد أن أؤثر عليكم فى أى شىء مهما كان .. لكن المهم أن يكون لديكم .. جماعة وأفرادا .. الاحساس بخطورة الموقف .. اذا كنت حارسا من حراس الليل .. وسوءات أين نحن الساعة .. أجبت انه بعد شهرين من الاستقلال نحن فى

لانقاذ شرف الكونغو بأسره .. أنا نفسي ..
ظللت حابسا غضبي .. وأنا أخوض معركة
ربما كانت الأخيرة .. لأنقذ البلاد من الوقوع
تحت قبضة استعمار جديد . لذلك ملأت
مكتبي .. اذا حق لي ان اقول .. بالموتيتلا ..
فيا جنود القبائل الأخرى .. أنا لا أبخل
عليكم بثقتي .. أعلم ان الجيش في مجموعه
مخلص لي .. كما هو مخلص لقائده الشرعي ..
أما موكونو فلم ينجح في لعبته القذرة التي لم
تكن الا الاستعانة بفرقة من المرتزقة المرفهين
الذين ينزلون فندق مسلينج وينفقون بسخاء من
المعونة الأمريكية .. وخاصة من الرصيد
الذي تدفع منه مرتباتكم .. أما أنتم أيها
الجنود فلستم من فندق مسلينج .. أعلم من
أنتم .. أنتم من الجنود المسخرين .. أنتم من
المستغل المظلم .. أنتم من رصيد المجاعة ..
من الرصيد غير المدفوع .. ومن ضموركم
تخمة هؤلاء السادة .. هذا صحيح للأسف ..
عندما عينت أول مجموعة من الضباط
السود .. وأول جنرال أسود وأول كولونيل
أسود .. لم أكن أفكر أنه .. ستولد بأسرع

سوف أخبرك .. أنهب فى كاتنجا .. نعم يا سيدى .. فى كاتنجا .. فى خزائن تشومبى .. ولأنى أردت أن أستردها منه .. فأنا هنا .. مدفوع بقسوة البعض وبجحود البعض الآخر .

جندى : هذا صحيح .. دائما ما قلتها لأصدقائى .. صدق الكثيرون .. والكثيرون لم يصدقوا .. وهكذا .. حسن .. تقول النقود .. لجنود كاتنجا ؟

لومومبا : الجنود .. طبعا .. وأيضا لتشومبى .. ولمبزيرى .. وللبلجيك .. هيا أيها الجنود .. اطردوا تلك الأفكار المفترسة .. سأطلب لكم دورا ثانيا ..

(الجنود يشربون ـ فى الوقت الذى تدور فيه الكؤوس)

لومومبا : أيها الجنود .. انى أرى كثيرين بينكم من قبائل الباتبتلاس .. كم أنا سعيد بذلك .. فأنا أيضا واحد من الموتبتلا .. هذه القبيلة هى التى ستخوض مع البلجيكيين المعركة الأخيرة .. التى بدأت منذ ستين عاما ..

لومومبـــا : اشربوا.. يا أصدقائى .. اشربوا .. والبـلاد كيف حالها ؟ كيف تسير الأمور ؟

ســـجان : البلاد .. البلاد ؟ انها الحالة التى يقال فيها .. كلما تغيرت .. كلما أصبحت نفس الشيء ؟ النـاس بـدأوا يتسـاءلون .. ان لم يكن الاستقلال قد جاء الى هنا ليفسد البلاد كسرب من الجراد .

لومومبـــا : ما هكذا تطرح المشكلة .. ليكن .. والجيش؟ والمرتبات ؟

ســـجان : لنظامك على أساس المشكلة .. المرتبات لم تصرف منذ شهرين ..

لومومبـــا : هيه .. ربما لأنه لا توجد نقود فى الخزائن .. هيـه .. وموكوتو ؟ وكـالا ؟ وهيئة الأمم المتحدة ؟ ماذا يفعلون ؟

جنـــدى : أنا الذى أسـألك .. اذا لم تكن النقود فى الخزائن .. فأين هى ؟ أخبرنى أين هى ؟ يجب أن تعرف .. أنت .. بما أنك كنت وزيرا .. وعلى كـل .. فـأنت كالآخـرين .. زنجى بنظارات ..

لومومبـــا : بهدوء يا زميلى .. بهدوء .. النقود أين هى؟

يمكننا أن نقولا أنه من بين الضلاب القدر الهدام . كنا .. هو وأنا .. جديرين بانقاذ هذا الشعور الأخوى .. صداقة ما وراء الدم أي نعم .. انهم منا .. ذلك انهم يعرفون ان ما يحدث هنا ليس مصيرنا وليس مصير افريقيا .. بل هو مصير الانسان . الانسان ذاته .. أما بالنسبة لافريقيا .. فانا أعلم أنه بالرغم من ضعفها وانقساماتها لن تتخلى عنا .. وبعد كل شيء .. شمس . وشمس ومياه .. ولقاء صحي هنا .. ولد الانسان . لماذا ؟ ان لم يكن ليبدد بخار الحياة وينهض بطريقة ما واقفا ورافعا جبهته . حسن يا مبوتو .. سأتحدث الى الجنود .. انهم كونغوليون .. سوف أحضم قلوبهم ..

لومومبا : (موجها حديثه للسجانين والجنود) وبعد .. زملائي السجانين . كأس من البيرة ؟ لكن .. معذرة .. ليس معي الا البولار .

سجان : أنت تعلم يا سيدي .. أن البولار لا يهمنا ولا البرنوس .. لا تثار المشاكل حول الأمور الواضحة .. اننا عطشى للغاية .

حكم ديولو . خصوصا اذا كان يشاركنى ايمانى .. ايمانى الراسخ بالمستقبل .

ميولو : لقد قلتها .. بعض المديح وبعض اللوم .. أساءل فى بعض الأحيان .. اذا لم نكن قد أردنا الذهاب سريعا .

لومومبا : ميولو .. انى لا آسف على شىء .. الا يمضى المهندس الى الهدف من أول وهلة .. فحينما المنزل لا كان واجبى أن أرسم بخط سحرى .. المنحنى والمستقيم . على السماء السوداء والأفق الأصم .

الآن وقد تم انقاذ كل شىء .. فلا يجب أن نحط من قوتنا . فهو خارقة . وعلينا أن نعرف كيف نستعملها . أنظر .. وصلنى الآن هذان الخطابان أفلتا من رقابة موكوتو .. أحدهما من فان لايرت .. والثانى من لوى . الا تجدان أن هذا رائعا ؟ لوى . الأسبانى . قولا .. ما هى علاقتهما بالكونجو .. بعد كل شىء .. هؤلاء الرجال لهم أيضا مشاكلهم .. وفان لايرت .. بلجيكى .. صديق .. وأخ من بروكسل .. انى متأكد أنه فى هذا الوقت وفى تلك اللحظة يفكر فى كما أفكر فيه ..

مبولـــــو : على الأقل لاخفاء هذه الاستعانة .. لم يخطر ببالهم أن يبعدونا نحن .. يخيل لى أنهم لن يتوقفوا عند منتصف الجريـــة .. ففى الكونغـو عـادة لا تتوقف أبـدا فى منتصف الطريـق .

أوكيتـــو : الكونجـو .. الكونجو .. قـل بالتحديـد الرأسماليين العالميين يخـافون من خيالهم .. لأقـل لمسـة .. يصيرون متوحشين .. كالجاموس .. نعم كالجاموس .

مبولـــــو : عندما يهيج الجاموس .. يخور بعيدا ..

لومومبـــا : كل هذا حقيقى .. حياتنا تحت رحمـة أول انسان قوى يأتى .. أبيض أو أسود ليس لهذا أهمية . اذا كان أسودا .. فرجل أبيض هو الذى سلمه هذا . أولا .. وثانيا : يمكنهم أن يبيدونا .. لا أن يهزموه .. لقد اعتبرناهم أصدقاء منذ اللحظة الأولى .. أما الآن فليسوا الا حجر عثرة أمام التاريخ .

مبولـــــو : من المؤكد أنك رسول يا باتريس .. يسير فى المقدمة ويبشر . وهنا تكمن قوتك وضعفك .

لومومبـــا : بعض المديح .. وبعض اللوم .. انى أقبل

أوكيتـــو : يقول المثل « انك تأكل مع الشمس .. ولا تأكل مع القمر » أنا لا أحب الأحلام .

لومومبـــا : أنا أحبها .. حتى لو كانت مخيفة .. ففيها تظهر حكمة سرعان ما تنساها يقظتنا .

مبولـــو : أعلم .. اعلم .. الأجداد .. أوه .. حدثني عنهم انهم الآن يبدون أكثر بخلا بأفضالهم ..

أوكيتـــو : أى نعم .. لقد نسونا فى السهل المر ..

لومومبـــا : الشجاعة .. يا أصدقائى .. الشجاعة .. ان البـلاد التى تفاجـأ فى البدايـة لا تلبث أن تتماسك .. انكم تعرفون الأسـطورة . اذا ضحينا بلومومبا هـدأت الالهـة ونظرت الى الكونغو بعين العطف .. أوه .. وينتظم كل شىء .. يجرد البلجيـك من السـلاح .. يدخل تشومبى الى الحظيرة وتصل الى الكونغو بلا انقطاع مساعدات هيئـة الأمم المتحدة .. وتحدث أشياء كثيرة أخرى .. لكن لا .. أقول لكم .. ان كل شىء سيصير من سىء الى أسـوأ .. بلبلة .. خـداع .. فوضى .. اذلال .. سترون قبل أن يمر بعض الوقت .. انهم سيجيئون الى هنا .. يتوسلون الينا .. ان نستعيد السلطة .

الفصل الثالث

المشهد الأول

(تيزوفيل ، معسكر طارق ، زنزانة السجن ، مبولو ، زاركيتو ، ولومومبا مستلقين على مفارش صغيرة . في الصباح ، لومومبا مستلقي ، ينتحب ويتقلب) .

لومومبا : أوه .. أوه ..

أوكيتو : أحلام مزعجة ، دائما ..

مبولو : مسكين باتريس .. كالحشرة التي وقعت في الفراء وتناضل .

لومومبا . (يستيقظ ويفرك عينيه) وسوف تخرج يا مبولو .. سوف تخرج .. أوه .. هذا الحلم .. كانت تهاجمني الطيور الكاسرة من كل النواحي .. وكنت أدافع عن نفسي بحركات هستيرية عنيفة .. لقد كان مخيفا ..

لومومبـــا : أشكركم على اهتمامكم بموقفى الشخصى .. وأؤكـد لكـم أنى رئيس وزراء جمهوريـة الكونغو .. الذى أيدته ثقـة الشعب ونصبته ثقة البرلمان .. باعادة انتخابى .. فاذا كنت اليوم حرا .. وفى مأمن من خطر الأعداء .. فذلك بفضـل جهـود الشـعب الكونغولى الباسل . انى أتحدث اذن بشرعية كاملة وحق متكامل باسم الكونغو .. ان مهنتكم أيهـا السادة الصحفيين .. مهنـة شريفة .. مهنـة التعليم والاعلام .. هذا هو ما أطلب منكم أن تفعلوه بطريقة قوية وشريفة .

(تقل أثاث .. رعب .. نساء يتدافعن .. ويتساقطن)

ماما ماكوزى : باتريس .. المظليـون .. المظليون .. لقـد حاصروا المنزل ..

مبولـــو : باتريس .. لا تخف .. ان حراسـنا على أهبة الاستعداد .. والحق معنا .. ان أتباع موكوتو سيجدون من يتحدثون اليهم .

لومومبـــا : كفى يا مبولو .. انى لا أريد أن يسيل الدم الكونغولى .

مبولـــــو : لن تقبل بعد ذلك أن تعامل كالفئران ..

لومومبـــا : أنـا لست رجل دين .. لكننى عملت بالحكمة التى تقول أن المخصى الذى يريد أن يغتصب فتاة شأنه شأن الزعيم الذى يتطلع الى تحقيق العدالة بالقوة .

مبولـــو : أنت تنـادى باللاعنف والواقـع أنـك تدعـو للانتحار ..

لومومبـــا : حقا يا مبولو .. ان كان لابد من أن أموت .. فلأمت كما مات غاندى هيا .. أدخلوا هـذا الجمع .. فانى لهم ..

(يدخل كالا وموكوتو .. وجمع من الجنود)

موكوتـــو : (لرجال الشرطة) أخرجوا الجميع (للصحفيين) عذرا أيها السادة ، لقد انتهى العرض .. وتبدأ جلسة العمل .. سوف نلتقى فى وقت آخر الى اللقـاء ..

(تخـلى الصـالة)

كـــــالا : (محدثا لومومبـا) ان مجيئى اليك .. يبدو غير عادى من جانب رجل أقل أهمية مثلى .. يعمل على حماية البلاد قبل أى اعتبار آخر .. كنت أود أن أجدك فى نفس هذا الوضع ..

لومومبـــا : لم أخدم مصالح أخرى غير مصالح الكونغو.. أنى منصت لك ..

كـــــالا : ان مصالح الامة لا تستطيع ان تتحمل صوتا غياب السلطة ..

لومومبـــا : كم أنـــا سـعيد أن أسمعك تقولها .. أنـــا رئيس وزراء .. انى رئيس الوزراء .. لم يعزلنى البرلمـــان .. كما لم تكن هناك أزمة فى الحكومة الكونغولية .. لم تكن هنـــاك أزمة وهـــذا حقيقى .. الا فى شرعيـــة الوجـــود الكونغولى ..

كالا لوبـــو : باتريس .. أنت لم تفهم ادن .. ليس فى مقدرة الانسان أن يمنع ما حدث من أن يحدث .. كن واقعيـــ لمرة واحـــدة.. ان نيو هو رجـــل الموقف .. انه هادىء .. مطمئن يستطيع أن يخمد الثورة المشتعلة فى كل مكان على امتداد البلاد .. وسترى .. لا أطلب منك الا قليلا من الصبر .. قليلا من الصبر .. ولترى أن الموز ينضج ببطىء .. وببطء يتسلل الدود الى باطن الأرض .

لومومبـــا : انى اكره الزمـــن .. واحتقر عـــدوكم .. والاطمئنان .. لمـــاذا الاطمئنان .. انى افضل الانسان الذى يكترث .. الانسان المكترث .. الانسان الذى يجعل الشعب مكترثا .. مثلى انا .. بالمستقبل الذى يعـــده بنا اشرار الرعـــاة .

كـــــالا : سيدى .. ولا تقبل الاشتراك فى الحكومة ! ستركك بعضكم اختيـــار المنصب . نائب رئيس .. وزير دولة .. وزير الاشـــغال .. اختر .. اعتقد أنه من حقى ان اطلب منك ردا محددا ..

لومومبـــا . (ساخرا) اسمع .. بالمناسبة .. كيف حـــال الاسقف يولو ! .. نعم .. فولبير ! قيل لى انه طلب من باريس رداء جديدا .. رداء من الفايلون .

كـــــالا : (مستاء) يخيل الى أن الوقت غير مناســـب لالاعيبك يا باتريس ..

لومومبـــا : لاحظ انى لا أهينه بما اقول .. بالعكس أنه يخفف اعباء الغســـيل على زوجاتـــه .. لكن لا تغضـــب .. انى جـــاد أيهـــا الرئيس ..

ولكنى أقول لك كل شيء فى كلمة واحدة ..
لا أريد أن أكون تابعا لك ..

لـــــالا : كيف ؟ . سوف تكون ضحية لعنادك ..

نوموميـــ . ان افريقيا فى حاجة الى تشددى .. خصوص اذا تساهل الكثيرون على حسابها .. لكى أجيب على سؤالك المحدد جدا .. لا اريد ان اشاركك فريقا من خانة الفاسدين والخونه .

كـــــالا : هل تعلم ما جئتك به هنا ؟ هل تعلمه ؟ أيها البائس .. جئت لك بالحياة .. الحياة المضمونه ..لا تغرى القدر .

نوموميـــ : هل تعلم ما الذى جئت تطلبه منى هنا ؟

كـــــالا : اطلبه منك ؟ هل انت واثق من أنك فى حالة تسمح لك بالعطاء ؟

نوموميـــ : لو لم أكن أهلا لذلك .. لما شرفتنى بهذه الزيارة .. لقد جئت هنا لتبحث عن منحة .. كما لو كانت شرعية .. حسن .. انى أرفضها باسم الكونغو ..

موكوتـــو : أيها الرئيس .. لا تلح عليه .. أنت ترى أنك تتحدث الى شخص أهوج . أعتمد على لأجعله يطأطىء الرأس ..

كـــــالا : باتريس .. أنـــت الذى أردت ذلـك .. الى
الأبد .. تصرف يا موكونو .. تصرف ..

موكوتـــــو : (تحدث لومومبا) تباً لك يا سيدى لومومبا ..
ها أنطارك .. لقد أردتها .. سوف تعرفك
حتى النهـــاية .. أيهـا الجنود .. تكفلوا
بالسجين ..

***

المشـــهد الثـــالث

(اليزابيث فيـــل .. مقـــر حـــكومة كاتنجـــا . يســـيطر على المسئولين فى كاتنجا .. الدهـــاء .. الى النزعة الكنائسية فيما عدا ميزيرى المتوحش .. اغلب الظن أن ميزيرى وخاصـــة ترافيلى فى حـــالة قريبـــة من السكر . بينما تدور كؤوس الويسكى والشمبانيا بسخاء طوال هـــذا المشهد » .

موكونـــو : هناك بعض السفارات أكرم من ســـفارتنا .. لقد جئت الى هنـــا لأشكو باسم ليوبولد فيل ذلك لا نستطيع ادراكه .. باعتبـــاره خرقـــا لاتفاقياتنا لقد عرفتم شروطـــكم .. وكانت منطقية .. وقد قبلناها .. ونفذنا كل شروط اتفاقيتنـــا الصغيرة .. وهـــذا ليس فقط بعدم تخلى كاتنجا عن الانفصال .. لكن باعطائهـــا العالم أجمع الاحساس بأنها ستنضم نهائيا الى الاســـتقلال ..

تشـــــومبى : اسمحوا لى .. اسمحوا لى .. اتفاق .. ان الكلمة ضخمة .. فلم يكن هناك اتفاق بالمعنى الكامل .. الا اذا كنتم تعتبرونها اتفاقا .. تلك

الكلمات التى تجرى فى المحادثات العادية بين الأصدقاء .

زمبـــوى : أنت .. أنت .. أنت .. كلمات .. لا أريد من ناحيتى أن أناقش بعض الكلمـــات .. اتفاق .. معاهدة .. محادثات .. لايهم .. المهم من بين كل هـذا هو أن نميز بين النص والروح .. ذلك أن النص هو الذى يقتل .

ترافيـــلى : كنت سأقول ذلك .. كما أن الروح هى التى تنقذ ..

(يضحـك ببلاهـة)

تشـــومبى : زمبوى وترافيلى على حق .. فروح محادثاتنا كانت .. مثلما كان اقصاء نومومبا عمل غير مجدى لاتحاد الكونغو ..

موكوتـــو : بشرفى .. هذا صحيح .. وصحيح جدا ..

مزيـــرى : هل أنت مغفل ! وهل لى أن أقولها لك بقسوة ! تعبان مثل هذا لا يموت بضربة عصى واحدة .. لومومبا الرهين مازال يثقل على الكونغو ..

تشـــومبى : عذرا لصـديقنا الطيب مزيرى انه مخلص ..

وشرس .. لكنه أفضل الرجال .. ورجل حسن المشورة .. لا نحب ليوبولد فيل كثيرا .. هذا صحيح .. فهناك هيئة الأمم المتحدة .. والشعب .. والجنود .. انها مدينة ثائرة مزعجة .. متغيرة .. بدون أن نعتب عليكم .. فانكم تعيشون فيها حياة رخيصة ..

هذا لا يعنيني فى النهاية .. نحن نرى أنه من الأفضل للومومبا أن يكون فى كاتنجا .. من الأفضل جدا أن يكون فى كاتنجا .

موكوتو . يا الهى .. ومن الذى يرفض أن يتخلص من سجين مزعج .. لكن لا يجب أن نتجاهل أن نقل سجين الى كاتنجا سوف يسبب لنا بعض المشاكل الصغيرة على المستوى الداخلى وعلى المستوى الدولى أيضا .. فالشعب متعلق جدا بلومومبا .. والرأى العام العالمى كذلك .. علينا اذن أن نحترم بعض النظم الديموقراطية التى لا يجب تجاهلها .. فى مثل هذه الحالة.. والا أصبح تجاوزا لا يغتفر .

زمبـوى : أنت .. أنت .. أنت .. الديمقراطيـة .. ها هى كلمة سادة ليوبولد فيل المأثورة ..

حسن يا صديقى العزيز .. نحن أيضا ديمقراطيون فى كاتنجا .. لكن الديمقراطية .. بالنسبة لنا .. هى كل ما يتفق ومصالح الشعب .. المهم هو معرفة ما اذا كان ثقله يدخل ضمن قائمة الافعال التى يمكن أن يقال أنها تخدم شعب هذا البلد ..

ترافيلى : (ضاحكا) كنت اقولها منذ لحظة .. انها الروح التى ننقذ .. انها الروح ..

مزيرى : لقد تعرضتم الآن لمشكلة داخلية .. فلا يمكنه أن يتسبب فى صعوبات الا اذا اردتم ذلك .. الشعب .. الشعب .. سيدى .. ان الشعب ينحنى دائما أمام القوة .. اذا كنتم تعرفون كيف تحكمون .. سجد لكم الناس .. المسألة تتركز فى هذا..هل تعرفون كيف تحكمون.. تحكمون .. وهل تعرفون كيف تصبحون قادة فى النهاية ..

موكوتو : حسن .. حسن يا مزيرى .. لا تغضب .. سنحاول على كل حال .. سأرفع اقتراحك للحكومة .. وداعا ..

تاتسومبى : الى اللقاء .. تريد أن تقول .. الى اللقاء .. اذ يمكننا أن نعتبر هذه المرة اتفاقا .. اننا مقيدون باتفاق .. تذكر هذا .. وقل لكالا أنك سوف تترك لومومبا يسقط هذه المرة . (يضحك) .

زمبوى : يسقط .. هيه .. هيه .. انى اسمعك ..

ترافيلى : (ضاحكا) انها الروح التى تنقذ ! والنص هو الذى يقتل .. أقول الذى يقتل .. فى صحتك يا موكوتو ..

(بينما يخفت الضوء .. يسر لاعب السانزا ويغنى)

أيها الصقر الصغير أوه .. أوه ..
أيها الصقر الصغير أبسط جناحيك
الشمس تشرب .. دما أوه .. أوه ..
الصقر الصغير .. الصقر الصغير
أى دم تشربه الشمس ..

***

المشـــهد الرابـــع

(نيويورك . مبنى هيئة الأمم المتحدة)

هرشـــــولد : هل تعرف الخبر ؟ الآن تسلمت البرقية .. لقد نقلوا لومومبا الى كاتنجا ولنا أن نخشى على حياته .. هذا مخيف ..

ماتيـــــــو

كوردوليـــه : بالتأكيد .. تبعا لعادات هذا البلد .. يبدو لى أن مشكلة لومومبا سويت بصفة نهائية .

هرشـــــولد : لا يبدو أن الأمر يؤثر عليك أكثر من هذا .

كوردوليـــه : بما أن لومومبا لم يكن من أصدقائى المقربين . فلا يمكننى أن أقيم الحادث الا من وجهة نظر المتخصص .. بدليل البساطة الواضحـــة التى يضيفها موقف الكونغو السياسى .

هرشـــــولد : كوردوليه .. كن صريح .. أنت تكرهه .. هذا صحيح .. قلها بدلا من تحمل هم التعريض السياسى .. هل أنتم رجال محايدون ؟ كان يجب أن أتنبه .. فلم تكفوا عن التآمر ضده .

كوردوليه : هيئة الأمم المتحدة هى هيئة .. أليس كذلك .. جهاز يتحمل بالألم هذا الجسم الغريب الذى يسمى العاصفة .

همرشولد : ان كاهلى صلب على الأقل .. الأحداث هنا هى التى تثقل عليك .. أنت الذى منعته من الدخول الى الاذاعة .. وحرمته من الدفاع عن نفسه عندما كان لخصومه الحق فى أن يصبوا عبر موجات الأثير دعايتهم الحقودة . أنت الذى اغلقت ستار نيويولد قبل أمام طائرات هيئة الأمم المتحدة ..
فصلته عن العالم الخارجى فى الوقت الذى كانت تهبط فيه طائرة باجيكية كل ساعة فى كاتنجا .. الخلاصة نحن الذين قيدناه .. عندما كان الآخرون يضربونه .. عمل جميل .

كوردوليه : الرحمة تسللك .. يخيل الينا أننا نستمع الى المندوب السوفيتى لدى هيئة الأمم المتحدة .

همرشولد : حسن .. الافلاع من ذلك هو ان نعتقد أنك تؤيد زورين .. لقد خدعتنى .. كلكم .. خدعتمونى .. ويمكننى القول بأنى اكتشفت أفعالكم القذرة .

كوردولييه : سيدى السكرتير العام .. اسمح لى بالدفاع عن نفسى ..

هرشوولد : كلا .. قد لا تصدق أنى سأقول كما قال جيم آمام دورامين « انى آخذ كل شىء على عاتقى » .. وسأظل صامتا ! آوه .. ودائما ما كنت صامتا .. قل لى يا كوردولييه .. ما رأيك فى المسيح ؟

كوردولييه : انت تدهشنى .. أنا مسيحى .. بروتستانتى .. وأنت تعلم ذلك ..

هرشوولد : وماذا يهمنى أنا .. أن تكون مسيحيا وبروتستانتيا ! فى امكان أى شخص . أن يضرب صدره ويصيح « أنا مسيحى » الذى أطلبه منك ليس هو ما يراه فى المسيح ماتيو كوردولييه الذى يقف أمامى (الفعل الجميل) لكن فى أى صف كنت ستكون أنت يا كوردولييه ، عندما قبض على واحد من معاصريك . شخص يدعى يسوع .. قتل فى فلسطين فى ظل الاحتلال الرومانى . هيا .. انسحب يا قاتل المسيح .

***

المشهد الخامس

(ضوء . معسكر تدريب فى كاتنجا . احد المرتزقة امامه دمية تمثل رجل اسود . يطلق عليها الرصاص من بندقيته وبين كل طلقه واخرى ينظف سلاحه . ويغنى) .

المرتزق : (يغنى)

فى الشمال .. فى الجنوب

فى الصحراء .. تحت خطوط الاستواء

أحراش أو غابات

أو دائب المستنقعات

***

أمطار .. حمى أو حشرات

جنود دبغتها الشمس

فارس جديد

يشعر بقلبه ينبض

من أجل الحق والحرية

(يتخذ وضع التصويب أمام الدمية)

المرتزق : قذر .. فرد .. متوحش .. مشعوذ ..

جحد .. كافر .. (يطلق بندقيته) أوه ..
أوه .. ذلك الجنس الملعون يحيا حياة
وحشية .. انظروا اليه بعيونه البيضاء الملتهبة
وجسمه الأحمر الضخم .. خذ (يطلق بندقيته)
رأيت مثله الكثيرين .. أمواتا .. ويستيقظون
في المقابر تحولك .. يجب قتلهم عشر مرات ..
لقد أن سحرتهم يعدونهم بتحويل رصاصاتنا
الى ماء .. (يطلق بندقيته تتدحرج الدمية)
خلت أن تكون تلك الرصاصات قد تحولت الى
ماء (يضحك) نعم .. لكن أنا .. هل أنا
من ماء .. أوف .. الجو حار .. حار
وقلبي .. يدق متعبا .. (يمسح جبهته ..
ويرتمي كالميت .. يغني) .

هناك من يسمون الألم
أزهارهم
يستقبلون .. ويعيشون كالحيوانات
بلا أمل
في كل مساء يحسون على ظهورهم
حقد سادتهم وغضبهم
يتركون البيت يملؤهم الحزن
من أجل الكونغو ..

(يسود الظلام عندما يعود الضوء •• يكون المرتـــزق الأبيض وهو لايزال يحمـــل فى يده مسدسه •• مستمرا فى التدخين •• الدميـــة تحولت الى جثـــين على الأرض •• أوكيتو ومبولو •• يدخل مزيرى وأحـــد المرتزقة •• وهما يدفعان أومومبا •• ينقض مزيرى فجأة على اومومبا يضربه) •

***

المشهد السادس

مزيـــــرى : هل رايت كيف أطلق زملاؤك الرصاص الآن.. علينا نحن الاثنين .. (يحاول المرتزق التدخل)

مزيـــــرى : (انزعا حربته) كلا .. لدى حساب شخصى أريد تسويته مع هـذا السيد .. (محدثا لومومبا) علينـا نحن الاثنين .. اذن صحيح ما يقـال عن اعتقادك بأنك لا تقهر (يضغط بالسلاح على صدره) عليك أن تجيب عندما يتحدث اليك أحد ..

لومومبـــا : حسن يا مزيرى .. كنت أنتظر تلك المواجهة.. كنت ضرورية .. نحن قوتان .. أنت نتاج الماضى وأنـا صانع المستقبل ..

مزيـــــرى : يبدو انك كنت تملك القـدرة على السحر فى كنـاى .. جلد الزونزى أو أشياء أخرى .. انه الوقت المناسب للتحقق منها ..

لومومبـــا : مزيرى .. انها فـكرة لا تقهر .. تلك التى تقول بأنى أتجســد .. فى الحقيقـة .. فأنا لا أرى مثل أمل الشـعب .. كالنار من غابة

الى غابه .. كالغبار من ريح الى ريح ..
كالبذرة فى التربة الصماء .

مزيـــــرى : وهذا .. وذاك .. الا تشعر به ! أيها القاسى ..
لا تشعر به خلال جلدك القذر ينسلل الى
قلبك ..

لومومبـــا : ثق .. أنه توجد فى صدرى نواة صلبة .. نواة
من حجر الصوان .. ينكسر فيها نصلك ..
انه شرف افريقيا ..

مزيـــــرى : (ساخرا) افريقيا أنها تتبرأ منك افريقيا ..
افريقيا لا تستطيع لك شيئا هل تشعر بأنى
رجل جاء يشرب دمك ويأكل قلبك ..

لومومبـــا : سمعته طوال الليل .. يبكى ويضحك وينوح ..
ويهمهم .. لقد كان الضبع ..

مزيـــــرى : انه يحذلق .. لكنك لا تصدق القول ..
انك لا تراه .. لا ترى الموت الذى يضع
العيون فى مواجهة العيون .. انك تعيش موتك
ولا تشعر به ..

لومومبـــا : أموت حياتى .. وهذا يكفينى .

مزيـــــرى : خذ .. (يقصد المنصل) وبعد .. أيها العبى .. ماذا ترى ؟

لومومبـــا : سأصبح حقلا .. سأصبح مرعى
سأكون مع الصياد واجنيا
سأكون من الراعى كيفو
سأكون فوق التل .. سأكون فى الوادى

مزيـــــرى : فلنخلص من هذا (يضغط المنصل)

لومومبـــا : أوه .. هذه قطرة الندى فوق افريقيا .. انى أنظر وأرى أيها الأصدقاء انى أرى الشجر يشتعل .. الصنوبر .. وأرى الأقزام وأرى الناس تعمل حول الحدائق الرقيقة .. لكن الراعى الذى يكبر .. يذكرنا بالسماء التى تتقلب مع مطلع الفجر .

مزيـــــرى : قذر (يسقط لومومبا)

(مخاطبا المرتزق) اجهز عليه .. أيها الكلب ..
(طلقة رصاص . المرتزق يجهز على لومومبا)
(يدخل همرشولد)

همرشـــولد : كونغو ..
ان تلاحم الأشياء المتلاشية ..

يدرك .. من خلال رحم الخطيئة الاولى .. رمادنا الأسود ..

الكامن فى أعماقنا .. والنار المتقدة حيث يسطع الشر ..

آوه .. فليصبح العدل قلب ..

لم يعد الشرف قدرا الا على التعريض بالشرف

يا الهى .. لماذا اخترتنى

لأشرف على الأكسير الشيطانى !

لكن فلتتحقق ارادتك .. ارادتك .. وليست ارادتى

انى أنتظر لأسمع .. اسمع الأمر .. الى الأمام ..

هناك .. هناك حيث تتكدس الليالى الصماء بلا نجوم ..

الى الأمام .. ان الخطوة الأولى هى التى تقدر ..

(يخطو خطوة)

لا يبقى غير الخطوة الأخيرة هى التى تحتسب

(وهنا يتقدم الصراف)

الصـــراف : من ناحيتي .. لا أرى قدرا بسيطا من مـادة العلم السياسي .. كل حـادث عرضي .. لنقل فولكنوري .. شيء ما مثل اعـلان بعث تلك العقلية .. التي تحل دورها لتخرب .. لدى افضلهم .. وهن الحضارة البراق .. في كل الاحوال وهذا هو المهم .. استطعتم التحقق بانفسكم .. مع أنك لسنا هنا للاشيء .. أقول للاشيء ..

(يخـرج متعاليا)

(اظلام .. ثم ضوء خافت .. بولين نوموميا تدخل ..)

بولـــين : قفص .. سحابات اربـع .. ليكـاوون .. ليكـاوون

في عيون البهرمانات ..

انها ايجديـة الخوف

الذي ينجرف تحت لهب الجيف

مع ذار الارض يرمي الغدر ظله

وأعلى منه انحراف الخفافيش

والنهب وشعوب الامراض المعدية

أسفله .. فوق الرمل الأبيض والأسود الذى يصنعه

بغير كلل .. أو كسل .. الغرق الذى يجدد
حركاته الصغيرة لدعوة الحب
من أجل أجمل .. النجوم والكو ، ..
عودى .. يا روحى .. عودى
لماذا تتأخر فى الغابة
فوق التلال .. فى مجرى السيل ؟
الهى .. لا تبقى عليها فى الغابة
فوق التلال .. فى مجرى السيل ..
آه .. انى أسمعها ..
كنت أعلم علم اليقين أنها ستعود ..
ها هى .. شعرت .. شوت .. ها هى ..

(بضحكات متقطعة .. يتقدم لاعب السانزا وهو على هيئة ساحر كونجولى . يرتدى جونلة من القش .. وأجراس معلقة فى معصميه وكعبيه .. يعبر المسرح وهو يغنى) :

لاعب السانزا : ايه .. أنت .. يا نزمبى .. أبله أنت ..

تأكل ظهورنا .. وآلياتنا

ايه .. نزمبى .. أبله أنت ..

تأكل قلوبنا .. وأكبادنا ..

ايه .. نزمبى .. تأكل بحساب ..

(لحظة اختفاءه .. يعود على عقبيه .. يواجه الجمهور وهو يطلق صيحة الحرب الكونجولية):

لوما .. لوما ..

بولـــــين : (تكرر)

لوما .. لوما ..

(طبول الانتقام ترد عليهما طويلا أثناء الليل)

(ســـتار النهاية)

كتب أخرى .. للمترجم

● صـــدرت :

مهاجر بريسبان	مسرحية جورج شحاته دار المعارف ١٩٦٩
الآلة الجهنمية	مسرحية جان كوكتو الأنجلو ١٩٦٩
انفصالات	قصص ناتالى ساروت هيئة الكتاب ١٩٧١
دقات المسرح	دراسات ونقد تطبيقى هيئة الكتاب ١٩٧٣
ليلة القتلة	مسرحية خوذيه تريبانا هيئة الكتاب ١٩٨٠
كهف الحكيم	دراسة عن اهل الكهف دار المعارف ١٩٨٠
شباب هذا العصر	رؤى ودراسات غربية المركز الجامعى ١٩٨٠
صرخات فوق المسرح	رؤى ودراسات غربية دار المعارف ١٩٨٠
جرنيكا .. ازمة العصر	رؤى ودراسات غربية هيئة الكتاب ١٩٨٢

دون كيشـــوت	مسرحية ايف جامياك هيا الكتـاب ١٩٨٦
الجحـــيم	روايـة هنرى باربوس هيئـ. الكتـاب ١٩٨٦
هـؤلاء المفـكرون	دراسات عربية وغربية الثقافة الجماهيرية ١٩٨٧
نبض العصـــر	دراسات ونقد تطبيقى مركز الفنون ١٩٨٧

● **تصـــدر :**

الانسـان .. كلمة	دراسات عربيـة وغربيـة
جـــان كوكتـــو	حيـــاته وأعمـــاله
الـوان العصـر	دراسات تشكيلية وأشعار
عصـر الشـــك	دراســة لناتالى ســاروت
المضيفـة الحسـناء	مسرحية كارلو جولدونى
رسـائل من مصـــر	نينيه والثورة العرابيـة

رقم الايداع ٨٧/٧٨٦٤
الترقيم الدولى ٠ ـ ١٥٨٠ ـ ٠١ ـ ٩٧٧

الهيئة المصرية العامة للكتاب